فقه قيادة الأسرة بتخطيط إستراتيجيّ وفق مبادئ إدارة الجودة الشاملة دراسة تأصيلية في القرآن والسنة

إعداد:

د. أسماء محمد فاروق علي عيسى

مدرس الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة طنطا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث:

عرَّف البحث بمبادئ إدارة الجودة الشاملة، وتطبيقاتها في الأسرة، وبيَّن ما تنطوي عليه روح الشريعة من إثبات قيادة الأسرة والدعوة إلى تخطيطها الاستراتيجي، في إطار ما يمكن تأصيله شرعًا تحت (فقه النكاح)، وفقًا لما ورد في القرآن والسنة، مع المزاوجة بين أصالة المرجعية الدينية وتطبيقات الجودة الشاملة، بهدف تجديد الخطاب الديني من خلال توظيف المبادئ التي نادى الغرب بتطبيقها لتحقيق الميزة التنافسية في المجالات المادية؛ لإقناعهم بميزة تطبيقها في نظام الأسرة، وسوء مَغَبَّة حرية العلاقات الإباحية وفوضى الحياة الأسرية، وإثبات أن شمولية الإسلام ودعوته إلى تحسين العمل الفردي والجماعي في كافة جوانب الحياة جعل مفهوم الجودة الشاملة أسلوبًا أصيلًا في نظام الأسرة، وقيادتها، وتخطيطها الاستراتيجي.

وتعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وتنقسم إلى ثلاثة مباحث: الأول: الأسرة وتطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة. والثاني: التأصيل

الشرعي لقيادة الأسرة وفق مبادئها. والثالث: التأصيل للتخطيط الاستراتيجي الأسري.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج، منها: حسم الخلاف في الصراع على القوامة، ورَدّ الزعم القائل بأن "الأسرة ليست مصنعًا، حتى نُنَمِّط سلوك أفرادها، ونتَحَكَّم في مدخلاتها ومخرجاتها"، وإبراز تميز شرع الله ﷻ في وضع أسس الجودة الأسرية.

وأوصت الدراسة بالتمسك بالمنهج الرباني وتشريعاته، ودعوة الباحثين إلى إثراء الفكر الإسلامي بتحقق الأصالة للجودة الشاملة، في بيئات مجتمعية شتى، بدراسة متكاملة، نابعة من الوحيين.

الكلمات المفتاحية: قيادة الأسرة– تخطيط استراتيجي– مبادئ إدارة الجودة الشاملة – تأصيل فقهي – القرآن والسنة.

Abstract:

The research defined of T.Q.M and their applications in the family, and indicated what the spirit of Sharia entails in proving the leadership of the family and the call for its strategic planning, within the framework of what can be legally rooted under (marriage jurisprudence) according to what is stated in the Qur'an and Sunnah, with a marriage between the authenticity of the religious reference and applications of total quality, with the aim of renewing religious discourse by employing the principles that the West has called for applying to achieve competitive advantage in material fields.

The study is based on the deductive inductive approach, and is divided into three sections: First: the family and the application of the principles of total quality management. The second: the legal rooting of the leadership of the family in accordance with its principles. And the third: rooting for strategic family planning.

The study reached results, including: resolving the dispute in the conflict over guardianship, and the refutation of the claim that "the family is not a factory, so that we standardize the behavior of its members, and control its inputs and outputs," highlighting the distinction of God's law I in laying the foundations of family quality.

The study recommended adhering to the divine approach and its legislation, and inviting researchers to enrich Islamic thought by achieving authenticity for total quality, in various societal

environments, with an integrated study, stemming from the two revelations.
Keywords: family leadership - strategic planning – T.Q.M - doctrinal rooting - Quran and Sunnah.

المقدمة:

الحمد لله لم يزل واحدًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، والصلاة، والسلام على نبيه محمد دائمًا أبدًا.

وبعد:

فإن تكوين الأسرة من الاحتياجات الرئيسة للمجتمعات الإنسانية، وتطبيق مبادئ الجودة الشاملة في حياتها انتقال من ثقافة الحد الأدنى إلى ثقافة الإتقان والتميز والتطوير المستمر، والتنافس في إنجاح قدرة الإنسان، القائم بأدواره ووظائفه المختلفة، المشارك في عملية التنمية، بما يفي باحتياجات الحاضر، ويُلائم معطيات المستقبل.

وهذا البحث جاء تبيانًا لما تنطوي عليه روح الشريعة الإسلامية من دعوة أتباعها إلى تكوين الأسرة وفق مبادئ، تضمن حُسن بقائها، وتميُّز نتاجها، في إطار ما يمكن تأصيله شرعًا تحت (فقه النكاح)، أو (فقه الأحوال الشخصية)، وغيرهما من الأبواب الفقهية، وفقًا لما ورد في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ورسمت هذه الدراسة مسارًا لقيادة الأسرة بتخطيط مستقبلي شامل، في إطار يعتمد على المزاوجة بين أصالة المرجعية الدينية التي تنبثق منها القيم الثقافية والسلوكية، مع التطبيقات السليمة لمبادئ إدارة الجودة الشاملة والانفتاح على مكتسبات العصر، التي تحسِّن نظام الأسرة، ولا تتعارض مع ثوابت قيمنا وهويتنا الإسلامية.

وإدارة الجودة الشاملة (TQM) سمة مميزة لمعطيات الفكر الإنساني المعاصر، وإحدى الركائز الأساسية لنموذج الإدارة الجديدة، المساير للمتغيرات

الدولية والمحلية، ومن أهم المبادئ العلمية المعاصرة التي أسهمت بشكل حثيث في تطوير بنية المنظمات الاقتصادية وقطاع الخدمات، ثم استُفِيد منها لإصلاح التعليم، وإخراجه من أزمته، لكن لم تتبلور مفاهيمها في نظام الأسرة بشكل متكامل على أيدي الباحثين، على الرغم من إلحاح الحاجة على نقل فلسفتها وتطبيقاتها إلى نظام الأسرة؛ نتيجة تنامي وعي المجتمع باحتياجاته وتطلعاته في ظل ضغط التغير المستمر للقيم ومتطلبات المجتمع.

مشكلة الدراسة:

إن نظام الأسرة في الإسلام مبني على أنها وحدة أساسية لإعمار الكون، وبناء المجتمع، ومؤسسة طبيعية تراحمية، تحكمها قيم التقوى والفضل والعفو، وليست مؤسسة صناعية، ذات طبيعة صراعية تنافسية، تخضع لعلاقات توازن القوى[١]، فكيف يمكن نقل فلسفة إدارة الجودة الشاملة وتطبيق مبادئها في حياة الأسرة؟ وما آليات التطبيق؟ وهل توجد خصوصيات إسلامية لإدارة الجودة الشاملة في قيادة الأسرة؟

أهداف الدراسة:

وتهدف الدراسة إلى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في قيادة الأسرة وتخطيطاتها تطبيقًا إسلاميًا من خلال:

أ. التَّعَرُّف إلى مفهوم نظام إدارة الأسرة، وأسس نشأتها وتكوينها، واستمرار الحياة الزوجية، وديمومتها، تحت رعاية قائد، كما ورد في القرآن والسنة.

ب. توظيف المبادئ التي نادى الغرب بتطبيقها لتحقيق الميزة التنافسية في المجالات المادية؛ لإقناعهم بميزة تطبيقها في نظام الأسرة، وسوء مَغَبَّة حرية العلاقات الإباحية.

(١) راجع: المرأة والعمل السياسي، (ص١٨٧).

ت. إثبات أن شمولية الإسلام ودعوته إلى تحسين العمل الفردي والجماعي في جوانب الحياة الدينية والدنيوية، بعمومياتها، وخصوصياتها، وأصولها، وفروعها جعل مفهوم إدارة الجودة الشاملة أسلوبًا أصيلًا في كل تعاليم الإسلام ومضامينه، لاسيما نظام الأسرة.

ث. بيان التأصيل الشرعي لمبادئ إدارة الجودة الشاملة في نظام الأسرة، من خلال توضيح أبعاد الجودة الأسرية في القرآن، والسنة، ومقاصد التشريع.

ج. كشف أوجه الإفادة من مبادئ إدارة الجودة الشاملة، وتطبيقاتها الأسرية في الواقع المعاصر.

ح. إماطة اللثام عن الصَّورة المشرقة لقيادة الأسرة المسلمة، بعد أن تشوَّهت رسالتها وواجباتها في الوقت الحاضر.

خ. رسم عملية التخطيط الاستراتيجي اللازمة لقيادة الأسرة، في ضوء المنهج الرباني، وطرحها في إطار مبادئ إدارة الجودة الشاملة، كخطوة لتحقيق رؤية الأسرة وأهدافها.

د. الإسهام في علاج المشكلات الأسرية، بما يكفل للأسرة الدوام والاستقرار، ويحفظها من الاختلال والتصدع والانهيار.

ذ. بيان الأسس الشرعية لتطوير الأسرة وتحقيق تميُّزها؛ كي تؤدي دورها الفاعل في المشاركة المجتمعية، والتنمية المستدامة.

ر. تجديد الخطاب الديني من خلال تناول جانب من الفقه الإسلامي بعرض مبتكر، يناسب روح العصر، ويقدم تصوُّرًا لاستنباط مبادئ جودة الحياة الأسرية وتطويرها بجميع أبعادها.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن أتّبع في دراسته المنهج الاستقرائي الاستنباطي، بتتبع كل ما يتعلق بقيادة الأسرة، والتخطيط الاستراتيجي، ومبادئ إدارة الجودة

الشاملة في نظام الأسرة، وتحديد المعاني المتعلقة بها، واستخراج ما يدل عليها من القرآن الكريم والسنة النبوية، واستخلاص المقاصد، اعتمادًا على الأدلة الواضحة.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة دقيقة متخصصة، تسمح بصياغة نظرية متكاملة عن قيادة الأسرة بهذا التصور، وعلى الرغم من اهتمام دراسات عديدة في مجال التربية وعلوم الإدارة والاقتصاد بالتخطيط الاستراتيجي، ومبادئ إدارة الجودة الشاملة، وتخصيص العديد من البحوث الشرعية، والنفسية، والاجتماعية، والتربوية للدراسات الأسرية... فإنها لا تتفق مع موضوع بحثي في الفكرة، والأهداف، والمنهج، والخطة، وجِدَّة التناول، وطريقة عرض المادة العلمية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن أُقَسِّم الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفق التفصيل التالي:

المقدمة: تشتمل على: أهمية الموضوع، ومشكلة الدراسة، وأهدافها، ومنهجها، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: تعريف بمصطلحات الدراسة.

المبحث الأول: الأسرة المسلمة وتطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة.

ويشتمل على: التخطيط الاستراتيجي، التزام الإدارة العليا، ودعمها، وتحفيزها، التركيز على العميل، السعي الدائم والمستمر للتحسين والتطوير، المشاركة وتفويض الصلاحية، تدريب العاملين وتطويرهم وفق احتياجاتهم الوظيفية، الوقاية أفضل من التفتيش، اتخاذ قرارات سريعة ودقيقة مبنية على حقائق واقعية وبيانات صحيحة، التغذية الراجعة.

المبحث الثاني: التأصيل الشرعي لقيادة الأسرة وفق مبادئ إدارة الجودة الشاملة.

ويشتمل على: قيم جوهرية معلنة ومتاحة للمعنيين، الهيكل التنظيمي، القيادة، التوصيف الوظيفي، تنمية القيادة لقدرات الموارد البشرية، والاهتمام بكفاءتها وفعاليتها، آليات فاعلة للتعامل مع المشكلات.

المبحث الثالث: التأصيل الشرعي للتخطيط الاستراتيجي الأسري.

ويشتمل على: الرؤية، الرسالة، الغايات، الأهداف، نموذج لخطة استراتيجية لقيادة الأسرة.

الخاتمة: تشتمل على أبرز نتائج البحث، وأهم توصياته.

فهرس المصادر والمراجع.

والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

تعريف بمصطلحات الدراسة

القِيادةُ لغة: مصدر القائد، من (قَود) يقود الدابة من أمامها، نقيض سوقها من خلفها، و(انْقَادَ لِلْأَمْرِ وَالطَّرِيق): سهل واستقام[١].

واصطلاحًا: عملية تأثير في نشاطات مجموعة من الناس، وتحريكهم لتحقيق أهداف دنيوية، أو أخروية[٢].

الأسرة لغة: من (أَسَرَ)، وهو الحبس، والشَّدّ، والرَّبْط، والأُسْرَةُ: الدِّرْعُ الْحَصِينَةُ، وأسرة الرجل: رهطه[٣]، فهي رباط فطري منيع، يُقَوِّي بعضه بعضا، ويحمي أفراده.

واصطلاحًا: أصغرُ وحدةٍ تُكَلَّف بواجب استقرار نظام المجتمع وتطوره، وتنشأ من علاقة زوجية شرعية، قامت بقصد التأبيد؛ رغبة في المكاثرة كمًا، وكيفًا، وتتكون من الرجل، ومن يعولهم من زوجه، وأصوله، وفروعه[٤].

الإِسْتراتيجيّ: منسوب إلى إسْتراتيجيَّة، وهي فن وعلم وضع الخُطط الشاملة ببراعة[٥].

والتخطيط الإِسْتِرَاتِيجِيّ: عملية ذهنية منهجية، مستقبلية، نظامية، شاملة؛ لإحداث التطوير، وتحقيق الأهداف بكفاءة وفاعلية، من خلال برامج زمنية، واستثمار أفضل للموارد والإمكانيات، وتنسيقها مع الفرص، والاستعداد لمواجهة التحديات وتقديم البدائل، واتخاذ القرارات بشأن تنفيذها ومتابعتها[٦].

---

(١) راجع: العين، (١٩٦/٥)، المعجم الوسيط، (٧٦٥/٢)، (ق و د).

(٢) راجع: القيادة في الإدارة العربية وموقعها من النظريات المعاصرة والتراث العربي الإسلامي، (ص١١)، صناعة القائد: طارق السويدان، ٢٠٠٤م، (ص٤٠).

(٣) راجع: مقاييس اللغة، (١٠٧/١)، الغريبين في القرآن والحديث، (٧٣/١)، لسان العرب، (١٩/٤)، (أ س ر).

(٤) راجع: الموسوعة الإسلامية العامة ص٣٥، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٢٣/٤، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر للزحيلي ص٢٠، علم الاجتماع العائل للخشاب ص٤٣.

(٥) راجع: معجم اللغة العربية المعاصرة، (٩٠/١).

(٦) راجع: التخطيط الاستراتيجي لخلف ص٩، التخطيط الاستراتيجي رؤية نقدية ص٢٢٨، التخطيط الاستراتيجي على مستوى المدرسة ص٣، الخطة الاستراتيجية المدرسية ص١٦.

الإدارة لغة: من (دور)، أي: إحداق الشيء بالشيء من حواليه، والإدارة: المداولة، والتعاطي من غير تأجيل(١).

واصطلاحا: عملية التنسيق بين جميع عوامل الإنتاج البشرية، والمادية، والمالية(٢).

الجَوْدَة لغة: من جود، والجَيِّد: نقيض الرَّدِيءِ، وَجَادَ الشيءُ جُوْدَة، وجَوْدَة، أَي: صَارَ جيِّدًا(٣).

واصطلاحا: فلسفة إجرائية، وثقافة إدارية، تتمثل في الإتقان، والتحسين الكامل المستمر، وتحقيق أفضل الخدمات بأكفأ أساليب ثبت نجاحها لتخطيط الأنشطة وإدارتها(٤).

وإدارة الجودة الشاملة: مجموعة من المعايير والإجراءات التي يهدف تنفيذها إلى التحسين المستمر، وتطوير أداء المنظمات(٥).

---

(١) وأدرت فلانا على الأمر، يعني: ألزمته إياه، وأدرته عنه: طلبت منه تركه، راجع: مقاييس اللغة، (٣١٠/٢)، تهذيب اللغة، (١١٠/١٤) تاج العروس، (٣٤٣/١١)، (دور).

(٢) للاستفادة من كافة الإمكانيات، باستعمال وظائف التخطيط والتنظيم، والقيادة والإشراف والرقابة؛ لتحقيق الأهداف المطلوبة، بأقل تكلفة، وأقصر وقت، وأدنى جهد، وأفضل جودة، وأقصى كفاية. راجع: إدارة الذات www.alukah.net/culture ، إدارة الجودة الشاملة– أنموذج في الإدارة الجامعية، (ص٥٤).

(٣) وأصل (ج و د) كثرة البذل والعطاء، والتَّسَمُّحُ بِالشَّيْءِ من غير إكراه. راجع: مقاييس اللغة، (٤٩٣/١)، المجموع المغيث، (٣٧١/١)، لسان العرب، (١٣٥/٣)، (ج و د).

(٤) باستخدام مجموعة من الأدوات والأساليب المتكاملة، تُطَبَّق في جميع فروع المنظمة ومستوياتها، لتعبئة المجهود الجماعي، وتوفير الفرص لإرضاء المستفيدين، وتستلزم مقابلة احتياجاتهم وتطلعاتهم، بتوفير الصفات المطلوبة، وتقليل الأخطاء في كل مراحل العمل (التصميم، العملية الإنتاجية، التسويق، الأداء الفعلي للمنتج). راجع: إدارة الجودة الكلية، مفهومها وتطبيقاتها التربوية، (ص١٥)، الجودة الشاملة في العمل الإسلامي، (ص١١٣)، الإدارة الموقفية التربوية في القرآن الكريم، (ص٧٣).

(٥) ومفهومها يدور في فلك الكفاءة بالاستخدام الأمثل للإمكانات للوصول إلى أفضل مخرجات، والفاعلية بتحقيق الأهداف بتحسين مستمر بمراحل العمل كافة. راجع: معايير الجودة الشاملة لتطوير نظام تكوين معلم التعليم الثانوي ص٢١، ٢٢.

المبحث الأول

الأسرة المسلمة وتطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة

مبادئ إدارة الجودة الشاملة أسس، وأفكار تعكس أفضل الممارسات الواجب تنفيذها لتحقيق التحسين، ويُستند عليها عند إجراء التغييرات والإصلاحات، ومنها:

١. **التخطيط الاستراتيجي**(١)، بتحديد الرؤية، والرسالة، والغايات، والأهداف، وطرق الوصول إليها، ومراحله، وأساليب تحقيقها وخياراتها، والإدراك الكامل لعوامل النجاح، بدراسة الواقع بأبعاده ومظاهره، من قوة، وضعف، وتحديات، وفرص، ووضع توجهات مستقبلية متكاملة واضحة، ومحددة سلفًا، في ضوء الإمكانيات المتاحة، وتنظيم وتحديد المهام للأفراد(٢)، ومن أمثلته:

التخطيط لحفظ دين الأسرة وأنفسها وعقولها ونسلها:

عرض القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام مع أسرته الممتدة (بني إسرائيل) في مواضع، ظهر فيها محاولات فرعون إفساد دينهم بقوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وإزهاق أنفسهم وتقتيل نسلهم: ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾[القصص:٤]، وتضليل عقولهم عن الحق البيّن: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝٤٠﴾[الشعراء:٤٠]، فجاء التخطيط لحفظ الأسرة من جميع جوانبها.

فقد أظهر الله ﷻ موسى عليه السلام على فرعون وقومه، فمكث في مصر يدعوهم إلى الله ﷻ، ويسعى لتخليص بني إسرائيل الذين لا يقدرون على إظهار إيمانهم من عذاب فرعون، فأراد الله ﷻ أن ينجيهم منه، ويمكّن لهم في الأرض؛ ليعبدوه جهرًا، ويُقيموا أمره، فأوحى إلى موسى عليه السلام أن سِرْ أول الليل، بجميع بني إسرائيل، ونسائهم، وذريتهم، من مصر، فاتّخِذْ لهم في البحر طريقًا يابسًا، لا تخاف من

---

(١) راجع: مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية، ٢٠١٦م، عدد (١)، (٩٢/١٨، ٩٣).

(٢) راجع: التخطيط الاستراتيجي: رؤية نقدية، (٢٢٨)، الخطة الاستراتيجية المدرسية، (ص١٦).

فرعون وجنوده أن يلحقوكم فيدركوكم، ولا تخشى في البحر غرقًا[1]، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾[طه:٧٧].

وبدت عناصر التخطيط في **وضوح الغاية:** تحقيق العبودية: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾﴾ [الدخان:١٩]، **وتحديد الأهداف:** التمكن من عبادة الله ﷻ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه:٨٢]، والتخلص من اضطهاد فرعون وعذابه: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [الدخان:٣٠]، **والتزام التنفيذ في الزمان** (أَسْرِ) ليلًا، و**المكان** (مصر)، (الْبَحْرِ)، **باشتراك فِرَق العمل** (عِبَادِي) مَنْ آمن مِن بني إسرائيل، **بإشراف وقيادة** موسى عليه السلام، **ومتابعة العمليات:** (أَسْرِ) الخروج من مصر، فاتّخِذْ لهم طريقا في البحر، مع **التحفيز:** (لَا تَخَافُ)، (وَلَا تَخْشَى)، **حتى تحققت الأهداف:** ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء:٦٥، ٦٦]، ولم تتوقف **المتابعة والرقابة والتقييم والتقويم والحرص على التحسين المستمر**، فبعد أن جاوز بنو إسرائيل البحر، ورأوا قومًا يعبدون أصنامًا، أرادوا أن يكون لهم إلهًا يرونه مثل هؤلاء، فقال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨، ١٣٩].

٢. التزام الإدارة العليا ودعمها[2]، وحث العاملين وتحفيزهم[3]:

---

(١) راجع: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص٥١٠).

(٢) بالمشاركة الفعالة في اتخاذ القرارات، والالتزام بالخطط والبرامج الموضوعة، وتوفير الإمكانات والموارد المالية والبشرية، راجع: المناهج التدريبية المتكاملة– منهج ادارة الجودة الشاملة ص٣٠، إدارة الجودة الشاملة ومتطلبات أيزو ٢٠٠٠:٩٠٠١، ص١٠٤.

(٣) القيادة الملائمة تحفز العاملين وتقود للإبداع، راجع: الإطار الفكري والفلسفي لمدخل إدارة الجودة الشاملة: مجلة الإدارة، مجلد (٣٠)، (ص٢٧).

إن تطبيق الجودة الشاملة يرتكز على مشاركة جماعية منتظمة، تلتزم فيها القيادة بتقديم القدوة النموذجية للرئاسة العليا، ويلتزم جميع العاملين بالمسئولية الفردية في العمل الجماعي، فاتخاذ القيادة أمر ضروري، ومؤثر في سلوك الأفراد والجماعات؛ لذا حرصت الأسرة الممتدة (أسرة بني إسرائيل) على وجود قائد، كما بيَّن الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَث لَنَا مَلِكًا﴾[البقرة:٢٤٦]، أي: أنهض معنا سلطانًا أميرًا يتقدَّمنا، ينتظم به أمرنا، نصدر عن رأيه، وننتهي إليه طاعة وامتثالًا[(١)].

وجاء اختيار الأمير وفق معايير محددة، حيث بعث الله ﷻ طَالُوتَ ملِكًا، وأَهّله تأهيلًا مسبقًا، بسعة في العلم، وقوة في الجسم، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[البقرة:٢٤٧]، فكان أول خطابه لهم حث على الصبر، وتحفيز على الثبات: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة:٢٤٩].

٣. **التركيز على العميل (المستفيد) الداخلي والخارجي**[(٢)]: تترجم النظم في إدارة الجودة احتياجات المستفيد وتوقعاته إلى خصائص محددة، تكون أساسًا في التصميم وأداء العمل لإرضاء العملاء، وقد دعا ﷻ إلى حسن التعامل مع المستفيدين، بتطوير علاقة طيبة، وإن كان الهدف من التركيز على الزبون في الجودة هو تحقيق الربح الدنيوي، فالهدف منه في الإسلام تحصيل المصالح الدنيوية والأخروية، وتجلى هذا في تعاملات لقائد الأُسرة، منها:

(١) راجع: بحر العلوم، (١٦٢/١)، الكشاف، (٢٩١/١)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، (٣٥٠/١).

(٢) راجع: إدارة الجودة الشاملة وأثرها على فاعلية أداء المنظمات: ٧٠.

* **الحرص على مصلحة المستفيد الخارجي**، ومنه:

- **التركيز على المستفيد وإن كان خصمًا:**

اقتضى التشريع الإسلامي الحث على المصالح التي تجري على مكارم الأخلاق، واتباع أحسن المناهج في العادات والمعاملات(١)، ومن هذا تنصيف الصداق المُسَلّم كحد أدني إذا وقعت الفرقة قبل الدخول، ثم ندب الله ﷻ إلى الأحسن، فقال ﷻ: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة: ٢٣٧]، ورَغَّب في الأجر الأخروي، فقال ﷻ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الشورى:٤٠].

* **الحرص على مصلحة المستفيد الداخلي**، أي: داخل المؤسسة، أو المصلحة.

- **المستفيد المدرك لوجوه المصلحة ومواطن الرضا فيها:** من أمثلته داخل مؤسسة الأسرة، قول الرجل الصالح لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص:٢٧] أي: من الصالحين بالناس في حسن المعاملة، ولين الجانب(٢).

- **المستفيد غير المدرك لما ينفعه:** حض الله ﷻ الوصي الغني، أن يثمر مال اليتيم، ويحوطه، ولا يمسّ منه شيئًا على جهة الانتفاع به، فإن كان الوصي فقيرًا، يشغله مال اليتيم عن معاشه أكل منه بالمعروف(٣)، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[الأنعام:١٥٢]، وانصبَّ الاهتمام على مصلحة المستفيد (اليتيم) الذي لا يدرك وجه النفع من الخدمة المقدمة إليه.

---

(١) راجع: منهج التشريع الإسلامي وحكمته – ط الجامعة الإسلامية، (ص٢٤).

(٢) راجع: التحرير والتنوير، (١٠٩/٢٠).

(٣) راجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤٥٤/٣).

* **قياس رضا المستفيد الداخلي والخارجي:** للتوجيه بالمستفيد ينبغي امتلاك المعلومات الكافية، والتعرف إلى الاحتياجات الحالية والمستقبلية، وقياس رضا المستفيدين وإشباع رغباتهم، عبر نظم معلومات.

وقد طبَّق النبي ﷺ هذا في أسرته، بحرصه على رضا زوجاته، كما في قوله ﷺ لعائشة –رضي الله عنها: "**إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى**"(١)، وفي هذا قياس لرضا المستفيد داخل الأسرة، وفق مؤشرات محددة، كحسن العشرة، والعدل بين الزوجات، وكفاية النفقة.... كما ركز ﷺ على قياس رضا المستفيدين من مؤسسة الأسرة، ممن هم خارج نطاقها، وإشراكهم في اتِّخاذ القرار، فلَمَّا أَمَرَه اللهِ ﷻ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ، بَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ ﷺ: "**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**"(٢)، فمن مصلحة الأبوين الشعور بالاطمئنان النفسي باستقرار حياة ابنتهما في عش الزوجية، والظفر بالمكانة الاجتماعية بمصاهرة النبي ﷺ، والمنزلة الدينية والعلمية بصحبته ﷺ.

٤. **السعي الدائم والمستمر للتحسين والتطوير**، فالنتيجة النهائية ثمرة سلسلة من خطوات ونشاطات مترابطة، تحتاج إلى اهتمام مستمر؛ للوصول إلى التطوير، وتعزيز الثقة، واعتماد إجراءات ونظم العمل(٣).

وقد شرع الله ﷻ أحكامًا تكفل استمرار التحسين والتطوير في الأسرة، منها: جعل الإيجاب والقبول أساس العقد؛ تعبيرًا عن رضا المرأة وأهلها، وتحقيقًا لحسن قصد الزوج في دوام المعاشرة بالمعروف، واشْتَرَطَ الولي لتقرير العقد وإعطائه ما يستحقّه من الثبوت والدوام(٤).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب غيرة النساء ووجدهن، (٣٦/٧ح٥٢٢٨).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الطلاق: باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، (١١٠٣/٢ح١٤٧٥).

(٣) راجع: إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي: مجلة البشائر ٢٠١٦، (٩٦/٦).

(٤) راجع: مقاصد الشريعة الإسلامية، (٣٤٤/٢).

ورغَّب ﷻ في استمرار الحياة الزوجية، وإمساك الزوجات بالمعروف، وإن طرأ النفور والكراهية[1]، وحرَّم نكاح المُحَلّل، الذي لم يُقصد منه التحسين المستمر والدوام، حيث "لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُحِلَّ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ"[2]، أما قول الله ﷻ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [البقرة:٢٣٠] فلا يُبيح الزواج بقصد الطلاق، فالآية لا تدل على تخصيص الطلاق، بل مما أجمع الفقهاء عليه من مسائل القياس: أنه متى تفارق الزوجان بموت، أو خلع، أو فسخ، أو طلاق؛ حلت للأول، قياسًا على الطلاق[3].

وسلك القرآن والسنة في التأصيل للالتزام بالتحسين المستمر مسالك، منها:

أ. نبه الله ﷻ على وجود علم، وحكمة، وإتقان في خلقه وأمره، ودعا العباد إلى التفكر في إتقان صنعه وحسن خَلْقِه، فقال ﷻ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨]، تنويهًا على أن كون أمره على غاية من الإتقان والإحكام أولى وأحرى؛ لذا قال ﷻ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:١٣٨] وصبغة الله: "شريعته، وسنّته، وفطرته"[4]، مما يدل على أن مفهوم الحُسْن في الإسلام أعم وأشمل من مفهوم الجودة عند روادها المعاصرين.

وإن كانت الجودة تستلزم تحسين المدخلات والعمليات التحويلية، وفق منطق النظم، واستمرار الرعاية والتعهد لِيَسُرَّ الناتج ويُرضي، فإن الله ﷻ أمر باختيار أجود المدخلات المتوفرة لبناء الأسرة، بانتقاء الزوجين؛ تمهيدًا لإعداد النشء الصالح، ورعايته؛ حتى يحقق الناتج الرضا.

---

(١) راجع: [سورة النساء:١٩].

(٢) مسند أحمد: مسند أبي هريرة ﷺ، (١٤/٤٢ح٨٢٨٧)، وحسنه الأرناؤوط لغيره.

(٣) راجع: إعلام الموقعين عن رب العالمين، (١/١٥٨).

(٤) التفسير الوسيط للزحيلي، (١/٦٢).

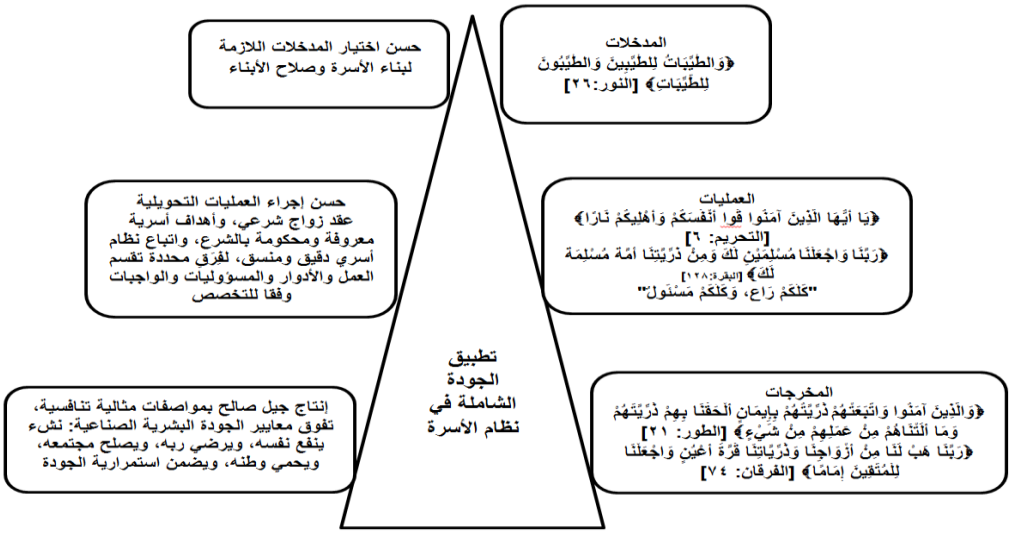

ب. جعل الله ﷻ الابتلاء في العبادات واقعا، ومقتضى التكليف الامتثال بفعل المأمور، وترك المنهي، والعبرة بحسن العمل، لا كثرته[١]، فقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] وعموم صفة العمل الحسن عَمَّت كل عمل لكل مكلف[٢]، واشتملت على أنواع الإحسان كافة، مع الله ﷻ، ومع الخلق[٣]، فالثواب مترتب على حسن العمل من غير تقصير أو تفريط؛ لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠]؛ لذا رغَّب ﷺ في حسن عشرة النساء، فقال ﷺ: "**خَيْرُكُمْ خيركم لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**"[٤]، وحث على الإحسان إلى الوالدين والأبناء والأقربين.

(١) راجع: أصول السرخسي، (١٢٢/١)، كشف الأسرار، (٣٢٦/٢)، الموافقات، (٥٠٧/١).
(٢) راجع: تقويم الأدلة في أصول الفقه، (ص١١٥)، شرح التلويح على التوضيح، (١٠٧/١).
(٣) راجع: تيسير الكريم الرحمن، (ص٩٠).
(٤) سنن ابن ماجه: أبواب النكاح: باب حسن معاشرة النساء(١٤٨/٣ح١٩٧٧)، بسند حسن.

ت. الحض على الثبات والاستمرار على الخيرات، كما قال رسول الله ﷺ: "**وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ، وَإِنْ قَلَّ**"(١)، ولمَّا أخلص خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام العبادة لله ﷻ، وتبرَّأ من عبادة ما سواه؛ حرص على استمرار هذه الخصلة الحميدة في بنيه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف:٢٨] أي: في ذريته؛ لشهرتها عنه، وتوصيتهم بها.

٥. **المشاركة وتفويض الصلاحية:** المشاركة الكاملة الفاعلة من جميع الأفراد، والتعاون بين مختلف المستويات الإدارية، والاتصال المباشر؛ يزيد الانتماء، وإيجاد الحلول المثلى للمشكلات، ويدعم التحسين(٢)، وقد أصّل الشرع لهذا بالأمر بعدة خصال:

أولها: الشورى:

أرشد القرآن إلى وجوب الالتزام بالتشاور في اتخاذ القرارات، وحل المشكلات؛ لإنجاز عمل متقن قائم على المناصحة، والاجتهاد، والمناظرة، والإنصاف، ودرء الخلاف، فقال ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩] و"إن كان النبي لغنيًا عن مشاورتهم، ولكنه أراد أن يُستن بذلك بعده"(٣)، ووصف ﷻ المؤمنين بأنهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨] بنص عام، ومرن، لم يُبَيِّن وسائل تحقيق الشورى؛ لاختلافها باختلاف أحوال الناس والعصور، فترك تفصيل تنفيذ الشورى، وأشكاله، وتطبيقه، وكيفية أدائه لتقدير علماء الأمة حسب ما يتسع للحاجات، ويلائم مقتضيات الزمان والمكان، ويرافق البشرية مع تقدمها(٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة: لن يدخل أحد الجنة بعمله(٤/٢١٧١ح٢٨١٨).

(٢) راجع: إمكانية تطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة: مجلة القادسية،٢٠١٢م، ع١، ١٤/٧٧-٧٩، إدارة الجودة الشاملة- المفاهيم والتطبيقات: مجلة الإداري، ع٢٠،١٩٩٨/٦٩.

(٣) إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، (ص٤٣).

(٤) راجع: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، (١/ ١٦٦، ١٦٧).

وتتنوع موضوعات تشاور القائد مع أسرته، فبينما يسأل إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل عليه السلام عن رأيه في أمر يخصه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات:١٠٢] يُوَجِّه ﷻ الأبوين إلى التشاور حتى التراضي فيما يتعلق بمصلحة الولد، إن أرادا فطام الصبي قبل الحولين، بقوله ﷻ: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة:٢٣٣]، ويتسع نطاق مشاورة النبي ﷺ أهله، ليشمل الأمور العامة، كما في صلح الحديبية حين قال ﷺ: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، انْحَرُوا، وَاحْلِقُوا**" فلم يقم أحد، مع تكرار أمره ﷺ، فسأل أم سلمة – رضي الله عنها، فقَالَتْ: "**فَلَا تُكَلِّمَنَّ مِنْهُمْ إِنْسَانًا، وَاعْمِدْ إِلَى هَدْيِكَ حَيْثُ كَانَ، فَانْحَرْهُ، وَاحْلِقْ**"... ففعل، فَقَامَ النَّاسُ يَنْحَرُونَ، وَيَحْلِقُونَ(١).

الثاني: التعاون والعمل بروح الفريق:

أمر الله ﷻ أمرًا عامًا بالتعاون على كل بر وتقوى، ونهى نهيًا عامًا عن التعاون على كل إثم وعدوان(٢)، بقوله –سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]، فجمع بين طلب الفعل وطلب الترك على سبيل الجزم، ومن المتطلبات الأساسية لإدارة الجودة الشاملة التعاون، مع نقاء الروابط من الآفات الاجتماعية، مما يمهّد لإنجاز الأهداف المشتركة، وقد طبّق رسول الله ﷺ ذلك مع أهل بيته، كما أجابت عَائِشَة – رضي الله عنها– لمَّا سئلت عن عمل النبي ﷺ فِي بيته، فحكت أنه ﷺ كان دأبه أن: "**يَكُونَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي: خِدْمَةَ أَهْلِهِ**"(٣).

---

(١) راجع: مسند أحمد: حديث المسور بن مخرمة، (٣١/٢٢٠ح١٨٩١٠)، وسنده حسن.

(٢) راجع: الإمام في بيان أدلة الأحكام، (ص٢٧٧).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب من كان في حاجة أهله، فأقيمت الصلاة، فخرج،، (١/١٣٦ح٦٧٦).

الثالث: تفويض السلطة وتوزيع المسئوليات وفق القدرات:

أقر الله ﷻ قاعدة مفادها استحالة قيام الإنسان بكل الأدوار بنفسه في وقت واحد؛ لأنه خُلق ضعيفًا؛ لذا رفع الحرج عن الأمة، وقال ﷻ: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٣٣]، وقال ﷻ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، أي: "يسر لكم ما تطيقون دون المعجوز عنه"(١).

ورُوي أن النبي ﷺ وزع الأدوار الأسرية بين علي وفاطمة – رضي الله عنهما، كما قال ضَمْرَة بْنِ حَبِيبٍ: "**قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ بِخِدْمَةِ الْبَيْتِ، وَقَضَى عَلَى عَلِيٍّ بِمَا كَانَ خَارِجًا مِنَ الْبَيْتِ مِنَ الْخِدْمَةِ**"(٢)، لكن الحديث لم يثبت؛ لأنه مرسل، "وإنما جرى الأمر بينهم على ما تعارفوه، من حسن العشرة وجميل الأخلاق"(٣)، أي: أن الدليل على توزيع الأدوار داخل الأسرة، وتقسيم العمل وتحديد الاختصاصات والمسئوليات هو العرف، ويؤيده السنة التقريرية بعدم إنكار النبي ﷺ ذلك، والسنة القولية بجعله الكل راعيا ومسئولا عن رعيته، والسنة الفعلية كما في حديث عَائِشَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أن رَسُول اللهِ ﷺ قال لها: "**عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟**" قَالَتْ: "مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ". قَالَ: "**فَإِنِّي صَائِمٌ**"(٤)، مما يدل على أن مسئولية إعداد الطعام على المرأة في منزلها، وبيَّن قوله ﷺ: "**إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ**"(٥) أنّ الأصل أن من شأن المرأة الاهتمام بالصغار، ورعاية شئونهم الخاصة.

---

(١) نفائس الأصول في شرح المحصول، (٦/٢٧١٨).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب أقضية رسول الله ﷺ، (٦/١٠ح٢٩٠٦٩)، وقال جلال الدين السيوطي: مرسل. راجع: جمع الجوامع، (٦/٢٩١).

(٣) فتح الباري لابن حجر، (٩/٥٠٧).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الصيام: باب جواز صوم النافلة بنية من النهار(٢/٨٠٨ح١١٥٤).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ١/١٤٣ح٧٠٧.

٦. تدريب العاملين وتطويرهم وفق احتياجاتهم الوظيفية[١]:

شرع ﷻ التدريب الدائم بكل الأسباب والوسائل، حسب الظروف والتطورات المستمرة والمتجددة، ودرَّب ﷻ الأنبياء – عليهم السلام – بنفسه، كما في قصة دعوى الخصمين: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [ص:٢٣] فقد نُقِل أن في هذه القصة إشعارًا بأنه ﷺ ودَّ أن يكون له ما لغيره – في دائرة الأسرة– وكان له أمثاله، فنبهه الله ﷻ بهذه القصة، فاستغفر، وأناب عنه[٢]، وفيها تدريب لداود ﷺ في الأحكام، وذِكْرُها لرسول الله ﷺ تدريب له في الأناة في جميع أموره على الدوام[٣].

٧. الوقاية أفضل من التفتيش[٤]:

وهذا يقتضي التعرّف إلى جميع جوانب العمل[٥]، بالمبادرة إلى اكتشاف المشكلات، وتنبئها قبل وقوعها، ووضع الأنظمة الوقائية التي تمنع حدوثها، وقد

---

(١) بتنظيم دورات تدريبية لرفع كفاءة العاملين بمختلف مستوياتهم الوظيفية وتخصصاتهم، لتزويدهم بالمعارف والخبرات، وإكسابهم مهارات التعامل مع التغيرات العالمية، وتعريفهم بالقيم السلوكية التي تسمح بإيجاد قوة عاملة مبتكرة ومنافسة، فالموارد البشرية الفعالة خير ضمان لاستمرار إتقان الأداء المتكامل. راجع: الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات (قراءة إسلامية): بحث مقدم للقاء الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، (ص٣٦)، دراسة عقبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة: مجلة كلية التراث الجامعة، ٢٠١٤م، عدد (١٤)، (ص٣٠).

(٢) راجع: تفسير البيضاوي، (٤٣/٥).

(٣) راجع: محاسن التأويل، (٢٥٠/٨).

(٤) الوقاية أثناء العملية الإنتاجية، ومراقبة أنواع الانحرافات وأسبابها، تقلص التكاليف وتزيد الإنتاج، فهي أفضل من التفتيش عن مستوى الخدمات بعد تقديمها، فالتفتيش يستنزف الطاقات والموارد. راجع: تأثير تطبيق إدارة الجودة الشاملة على تنمية الميزة التنافسية: مجلة الاقتصاد الجديد، عدد (٢٤)، ٢٠١٦م، (١١١/١-١٠٩).

(٥) راجع: المبادئ الأساسية لإدارة الجودة الشاملة: رحاب حسين كاظم، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بابل، العراق، ٢٠١٣/١١/٥م.

اهتم الشرع بالنظام الوقائي، وأساليب منع حصول الأخطاء والمشكلات، ومن هذا التأصيل لعدة أمور: **أولها: العلم**: إتقان الأمور يتطلب توافر المعرفة والدليل؛ لذا أمر الله ﷻ بطلب الاستزادة من العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، وعِلْم قائد الأسرة بما يدور في بيته من أهم وسائل الوقاية من وقوع الانحرافات، وفي حادثة تَظَاهر عائشة وحفصة – رضي الله عنهما – على النبي ﷺ ما يدل على أهمية العلم لحماية الأسر من التصدع، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم:٣].

ومن أبرز الأمور التي يجب أن يحيط قائد الأسرة بها علمًا في عصرنا الراهن: أثر وسائل الاتصال الحديثة على الأسرة(١)؛ لضبط استخدامها، وتوجيهه للانتفاع الأمثل، وتفادي أضراره.

والثاني: الحكمة: بأن يعرف العبد الحق لذاته، والخير لأجل العمل به(٢)، أي: العمل بمقتضى العلم، والإصابة في القول والعمل، قال ﷻ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

وقد ظهرت حكمة النبي ﷺ في حياته الأسرية في مواقف، منها: تَفَهُّمه ﷺ طبائع البشر، والتماس الأعذار لهم، مع إلزام المخطئ بتحمل تبعات خطئه، ومثاله: لما أرسلت أم سلمة –رضي الله عنها– إلى النبي ﷺ طعامًا في يوم عائشة –رضي الله عنها– ضربت عائشة يد الخادم، فسقط الإناء، وانكسر، فجمع النبي

(١) فمن آثار استخدام مواقع التواصل الاجتماعي: ضعف الروابط الأسرية، وقطع الأرحام، والشعور بالاضطرابات الانفعالية والسلوكية، ووقوع الخيانة الزوجية، وارتفاع نسب الطلاق... راجع: تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على النسق القيمي الأخلاقي للأسرة: مجلة التربية والصحة النفسية، جامعة الجزائر، عدد (٧)، (ص١٥٠–١٥٣).

(٢) راجع: مفاتيح الغيب، (٥٨/٧).

ﷺ الفِلَقَ المكسورة والطعام، وقال: "**غَارَتْ أُمُّكُمْ**"، ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ، مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ(١).

ومن الحكمة تحديد الأولويات؛ لذا أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن يبدأ في دعوته بأسرته، وقومه، فقال ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤].

الثالث: المسئولية:

ذكر الله ﷻ أن الإنسان مؤاخذ على أعماله، وملزم بتبعاتها المختلفة، فقال ﷻ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات:٢٤]، وقال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾[المدثر:٣٨].

وجاء الخطاب بألفاظ عامة دالة على شمول المسئولية والمساءلة لجميع النفوس، واستغراقها، تجاه الأعمال الدنيوية والأخروية؛ لذا شملت المسئوليات في القرآن جميع أفراد الأسرة المميزين، بدءًا بالقائد ومن مسئولياته: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق:٦]، وبزوجه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨]، ثم الذرية: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾[القصص:١١]، فالفتاة المُمَيّزة مسئولة عن أخيها الرضيع.

الرابع: التوجيه:

يحتاج العاملون إلى تعريف بكيفية أداء العمل وتنفيذه؛ لتفادي الوقوع في الأخطاء، وتحقيق النجاح، ومن ذلك في محيط الأسرة الإرشاد إلى ما يسد ذرائع الخلاف، حيث حفلت الأوامر والنواهي الإلهية بما يُضَيّق منافذ الخلافات الأسرية، ومنها قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن

(١) راجع: صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب الغيرة، (٧/٣٦ح٥٢٢٥).

﴿كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء:١٩]، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة:٢٢٨]، ففي الآيتين توجيهات للزوج للحد من المشكلات:

*تحريم ظلم المرأة ماديًا ومعنويًا، بإكراه، أو عضل.

*وجوب معاشرة النساء بما جَمُلَ شرعًا، وعرفًا، وعقلًا.

*ندب الرجل إلى إمساك المرأة بالمعروف، وإن كرهها(١).

وفي المقابل وجهَّت النساء للاعتراف بحق الزوج في القوامة، ووجوب العمل بمقتضاه: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ أي: الإمْرَةُ، والطاعة(٢).

الخامس: الرقابة والمتابعة:

الله ﷻ مطّلع على ما ظهر وما بطن من أفعال العباد، كما قال ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب:٥٢]، وفيه ترهيب دال على النهي، وترغيب دال على الأمر، أو الأمرين معا(٣)، فتجب مراقبة جانب الله ﷻ في جميع أموره، والرقابة الذاتية تؤدي إلى ضبط السلوك وتأدية العمل بإخلاص وإتقان، لتحقيق الأهداف، وفقا للمقاييس والضوابط.

ولاختلاف الناس في استعداداتهم، وخبراتهم، وإعدادهم، وأعمالهم؛ أقر ﷻ الرقابة الخارجية (الرئاسية)، فوضع نظم رقابية ومحاسبية، ومنها قوله ﷻ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء:٣٤]، وتتجلى رقابة قائد الأسرة ومتابعته في قوله ﷻ: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ﴾ [يوسف:٢٥]، فعلى الرغم من أخذ المرأة بكل الأسباب المتاحة من تغليق الأبواب ونحوها، فزوجها ليس بغافل عما يدور في داره.

---

(١) راجع: أحكام القرآن للجصاص، (٤٧/٣).

(٢) راجع: النكت والعيون، (٢٩٣/١).

(٣) راجع: الإمام في بيان أدلة الأحكام، (ص١٣٢).

السادس: تقديم البدائل المناسبة:

تكشف متابعة أحوال الأسرة عن وقوع مشكلات، أو التنبؤ بحدوثها؛ مما يفرض وضع أنظمة وقائية تمنع حصولها، ومن هذا: مشكلة وجود يتامى النساء بالأسرة، وتوقع الحيف عليهن عند تزويجهن في نطاق العائلة، فوضع الله ﷻ البدائل لمن خاف الجور عليهن، بأن يتركهن، وينكح ما طاب له من النساء، من غيرهن اثنتين، أو ثلاثًا، أو أربعًا، ثم تُتوقع مشكلة أخرى، وهي خشية عدم العدل بينهن، فيكون البديل الاكتفاء بواحدة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:٣].

السابع: تقييم الأداء والإفادة من الخبرات السابقة:

للتحقق من موافقة الأداء الفعلي للعمل للمعايير المحددة لابد من تقييمه؛ لتصويب الخطأ، وإكمال النقص، وسد الخلل، والإفادة من الخبرة السابقة مستقبلًا، وهذا ما فعله يعقوب عليه السلام مع بنيه، حين طلبوا أخذ يوسف عليه السلام، فقالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:١٢]، ولم يفوا بما وعدوا، فلمَّا طلبوا أخاهم الأصغر، وقالوا: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:٦٣]، نبههم على خطئهم السابق: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف:٦٤]، وصحح الإجراءات، ولم يكتف بمجرد وعدهم: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ۖ﴾ [يوسف:٦٦].

٨. **اتخاذ قرارات سريعة ودقيقة مبنية على حقائق واقعية وبيانات صحيحة**[(١)]، وليست تكهنات، أو افتراضات، أو توقعات، وآراء شخصية فردية ارتجالية؛ لذا ينبغي توفير قواعد معلومات حقيقية، وبيانات واضحة ومفصلة، حتى يمكن اتخاذ القرارات بناء عليها، فأساس الإتقان توافر المعرفة، والعمل بمقتضاها، لذا نبه الله

(١) راجع: المبادئ الأساسية لإدارة الجودة الشاملة: كلية الإدارة والاقتصاد، ٢٠١٣/١١/٥.

ﷻ على ضرورة التحري، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦] ، فوجب التزود بمعلومات عن كافة الاتجاهات، والمعارف، والقيم، والخبرات اللازمة للعمل، مع مراعاة الجوانب الشخصية للعاملين من النواحي الفكرية، والعقلية، والوجدانية، والاجتماعية، والجسدية، والجمالية، والخلقية، والقدرات، والاستعدادات.

ومن نماذج اتخاذ قائد الأسرة قرارًا سريعًا مبنيًا على حقائق قول الرجل الصالح للكليم موسى عليه السلام لمَّا تيقن صلاحيته وإمكاناته: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾ [القصص:٢٧]، وحين قرر إبراهيم عليه السلام إكرام ضيفانه ذهب سريعًا لأهله، وجاء إلى نزلائه بعجل سمين مشوي؛ ليأكلوا منه، لعلمه بإمكانيات بيته، ومهارة زوجه، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود:٦٩].

٩. التغذية الراجعة(١):

مداومة الاتصال بالمستفيدين تُيَسِّر تقييم سير العمل داخل المؤسسة، وسماع صوت العمليات والمشكلات الداخلية قبل أن تستفحل؛ لتحقيق الأهداف وإحداث التطوير، وحصول الرضا.

ومن نماذج التغذية الراجعة التي تعكس تعاون الأبوين في تحمُّل المسئولية المشتركة، وتوافقهما على رعاية الأبناء، ومناقشتهم، والتعقيب عليهم، وتقديم النصح لهم- ما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ۖ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الأحقاف:١٧].

(١) طريقة اتصال بين أشخاص أو مجموعات تبين لكل منها كيف يؤثر في الآخر بتغيير فكره، أو سلوكه، أو تعديلهما. راجع: الجودة الشاملة في العمل الإسلامي ص٢١٦.

المبحث الثاني

التأصيل الشرعي لقيادة الأسرة وفق مبادئ إدارة الجودة الشاملة

لا تخلو مؤسسة مجتمعية ناجحة من قيادة قادرة على التعامل مع الطباع البشريّة، والتأثير في السُّلوك الإنسانيّ، ومتابعة مجموعة من النّاس، وتوجيههم نحو هدف مشترك، بوسائل وأساليب تضمن بها احترامهم، وثقتهم، وطاعتهم، وتعاونهم، للوصول إلى تحسين مستمر، والمحافظة على أعلى مستوى من جودة الأداء.

وبتطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في نظام الأسرة أجد أهم مبدأ: **التزام إدارة الأسرة العليا، ودعمها أفراد الأسرة، وحثهم، وتحفيزهم**، فالأسرة مؤسسة تتوزع المهام بين أفرادها، وفق خطة مدروسة، وأهداف واضحة، تحت إشراف رئيس يتابع الإنجاز، ويدعم استمرار النجاح بأعلى كفاءة، وهذا يتطلب توافر أمور، منها:

أ. قيم جوهرية معلنة ومتاحة للمعنيين:

إن حجر أساس البيت المسلم حصول زواج بعقد شرعي صحيح، تترتب عليه لوازم الزوجيَّة، وثمراتها، وآثارها، ومقتضياتها من حُقوق، وواجبات، وتتحقق به مصالح دينية، وروحية، وأخلاقية، واجتماعية؛ لذا وصفه ﷻ بالميثاق الغليظ، أي: الرباط والعهد القوي المشدد المؤكد، فقال ﷻ: ﴿ **وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ [النساء:٢١] فهو متميز عن سائر العقود؛ لأنه التزام بحق الصحبة، بإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، ولخطر عقد النكاح أمر ﷺ بإشهاره، فقال ﷺ: "**أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ**"(١)، واتفق جمهور الفقهاء على استحباب إعلانه(٢)،

(١) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب إعلان النكاح، (١/٦١١ح١٨٩٥)، حسنه الألباني.

(٢) فتح القدير ٣/٢٠٠، المعونة على مذهب عالم المدينة ص٧٤٥، أسنى المطالب ٤/٣٤٥، المغني ٧/٨٢.

وأجمعوا على أنه لا ينعقد لو تمَّ سرًا بغير شهادة(١)، واشترط الشافعية والحنابلة تعيين الزوجين لصحة النكاح(٢)، بإعلان اسميهما.

ب. الهيكل التنظيمي:

يعتمد الهيكل على أهداف المؤسسة، وطبيعة أعمالها، والظروف التي تحيط بها، كالقدرات البشرية والتقنية التي تعمل فيها، ومكانها وتخصصاتها، والمراحل التي تمر بها، والأسرة جماعة إنسانية تنظيمية، حدد ﷻ نواتها الأولى من رجل وامرأة، فقال ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥﴾ [النجم:٤٥]، وجعل منهما نسبًا وصهرًا، فقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ۝٥٤﴾ [الفرقان:٥٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات:١٣]، والزواج هو العلاقة الطبيعية المشروعة بين الذكر والأنثى لتكوين الأسر؛ لذا قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون:٥-٧].

فَحَرُمَ أي اقتران بين شخصين يخالف الارتباط الفطري بين الزوجين، ومما يدل على هذا أن الله ﷻ سمَّى فعل قوم لوط عليه السلام في كتابه سيئة، وفاحشة، ومنكرًا، وبيّن أنه جهل وعدوان، وسبب للخزي(٣)، ولعن النبي ﷺ فاعله، كما قال

(١) راجع: شرح النووي على مسلم، (٢٢٧/٩).
(٢) راجع: الإقناع للماوردي، (ص١٣٥)، المغني لابن قدامة، (٩١/٧).
(٣) راجع: (هود:٧٨)، (الشعراء:١٦٥، ١٦٦)، (النمل:٥٤، ٥٥)، (العنكبوت:٢٩).

ﷺ: "**لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لوطٍ**" – ثلاثا[١]، وأجمع أهل الإسلام على مشروعية النكاح، وتحريم الزنى وفعل قوم لوط عليه السلام[٢].

ج. القيادة:

قيادة الأسرة مسئولية تُناط بأحد الزوجين؛ لتستقيم رابطة الحياة الأسرية؛ لذا شرع الله ﷻ نمطًا لقيادتها يُنشئ ثقافة تنظيمية، ويتبنى احترام العنصر البشري، وإنزال الناس منازلهم، وتوطيد العلاقات الإنسانية؛ مما يساعد على إنجاز الأهداف بأعلى جودة، فوضع معيارًا لقيادة الأسرة، بأن يكون القائد مؤهلًا، يتم اختياره حسب أسس موضوعية، ويُكلَّف بمسئوليات واختصاصات محددة، فقال ﷻ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء:٣٤]، وأثبت الرئاسة للرجل في أهله وولده وفق مؤشرات واقعية، أهمها:

– **اختيار القيادة** وفق الأفضلية: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾، فقد خصّ الله ﷻ الرجال بأمور وهبية، منها مزيد القوة في الأبدان والأعمال والطاعات، فزيد بالحمل عليهم على حسب القوة، وكُلِّف الرجال بالقيام على شئون النساء بالذب، والحفظ، والصَّون، والرعاية، والكلاءة، والحماية، والتأديب[٣]، ومن هنا تجيء الرياسة، وهي من قبيل توزيع التكليفات، فللرجل رياسة عامة، وللمرأة رياسة نوعية، وما زال النساء عبر الدهور يشعرن في قرارة أنفسهن بصلاحية الرجل لهذه الدرجة في هذا المعنى، مهما بلغن من درجات في العقل، والعلم، والمال، والقوة[٤]، فالرجل

(١) السنن الكبرى: النسائي: أبواب التعزيرات والشهود: من عمل عمل قوم لوط، (٣٢٢/٤ح٧٣٣٧)، سنده صحيح: السلسلة الصحيحة رقم٣٤٦٢.

(٢) راجع: الإشراف على مذاهب العلماء، (٢٤٩/٧)، المغني، (٣/٧)، (٦٠/٩).

(٣) راجع: أنوار البروق، (١٦٩/٣)، الموافقات، (٨٧/٣)، فتح البيان في مقاصد القرآن، (١٠٥/٣).

(٤) راجع: زهرة التفاسير، (١٦٦٧/٣)، التفسير الحديث، (٤١٦/٦).

بحكم طبيعته في أصل خلقته ومقدرته واستعداده لإدارة الأمور بحزم، واتخاذ القرارات بعزم- أجدر بضم الأسرة، ومعرفة مصالحها، فاختصاصه بحق القوامة ليس انتقاصًا للمرأة، وتسليطًا للرجل عليها، وإنما هو توزيع للأدوار بينهما لمصلحة استقامة شئون الحياة.

- **دعم القيادة:** من أسباب قوامة الرجال على النساء نفقتهم عليهن، لقوله ﷻ: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي: الصداق، والنفقة[1]، وقال ﷻ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧]، وقال النبي ﷺ: "**وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**"[2]، وأجمع أهل العلم على وجوب نفقة الزوجة وكسوتها بالمعروف على الزوج[3]، والنفقة تشمل ما لا غنى بامرأته عنه[4]، كأجر الطبيب، والدواء، والخدمة عند الحاجة؛ لقوله ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩]، فحق القوامة للرجل وَهَبَ المرأة حقًا في النفقة؛ ولذا "أجمعوا على إسقاط النفقة عن زوج الناشز"[5].

د. **التوصيف الوظيفي:** كما أوجب الله ﷻ على الرجال - قيادة الأسرة العليا- التزام القيام بمسئوليات حماية الأسرة والإنفاق عليها- حدد في المقابل اختصاصات المرأة ومسئولياتها، فقال ﷻ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾، ووصف الصالحات بالتزام صفتين:

---

(١) راجع: جامع البيان ط هجر، (٦٩٠/٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب حجة النبي ﷺ، (٨٩٠/٢ح ١٢١٨).

(٣) راجع: الإشراف على مذاهب العلماء، (١٥٧/٥)، تأويلات أهل السنة، (١٥٦/٣)، فتح البيان، (١٠٥/٣).

(٤) راجع: تفسير الإمام الشافعي، (٥١٨/٢).

(٥) راجع: الإجماع لابن المنذر، (ص٨٣).

- ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ خبر مقصوده أمرهن بالطاعة[١]، وقنتت المرأة لبعلها، أي: أقرت، وأذعنت لحقه، واعترفت به، وانقادت له[٢]، ووصفها بالقنوت يشمل طاعة ربها، ووالديها، وولي أمرها، لكن السياق في وصف الزوجات، أي: الصالحات الممتثلات أَمره ﷻ مطيعات لأَزواجهن في غير معصيته ﷻ، ويؤيده قوله ﷺ: "**لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يَسجُدَ لأحدٍ لأمرتُ النِّساءَ أن يسجُدْنَ لأزواجِهِنَّ؛ لِمَا جَعَل الله لهم عليهنَّ من الحق**"[٣]، مما يدل على وجوب طاعة الزوج.

- ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ أي: اللاتي يحفظن ما يغيب عن الناس، مما يجري بينهن وبين أزواجهن، ويحفظن ما يجب حفظه عند غيبة أزواجهن عنهن[٤]، ولا ينحصر في حفظ العرض والمال؛ فحديث "**وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ**"[٥] ضعيف، وحفظ الغيب لا يقتصر على المعهود مما يجب كتمه، ويجمل ستره من أسرار زوجية خاصة، أو خلافات بينهما، فالرابطة الأسرية لا تدوم وتستقيم إن لم يكن ما حفظه الله ﷻ بين جدرانها محاطًا بسياج من الستر والكتمان، لا يطلع عليه أحد إلا في أضيق الحدود، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء:٣٥]، ومشروعية الحفظ العام للغيب يؤيدها قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن، (١٧٠/٥)، أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، (ص١٢٢).

(٢) راجع: لسان العرب، (ق ن ت)، (٧٤/٢)، (ق ر ر)، (٨٨/٥).

(٣) سنن أبي داود: كتاب النكاح: باب في حق الزوج على المرأة٣/٤٧٥ح٢١٤٠، صحيح.

(٤) راجع: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (٦٠/٦، ٧١).

(٥) المعجم الأوسط، (٣٢٥/٢ح٢١١٥)، ضعيف. راجع تحقيق مسند أحمد، (٣٨٥/١٢).

[التحريم:٣]، وحفظ الغيب يشمل حفظ الكلام نطقًا، وكتابةً، وإشارةً، بين الأسرة الممتدة وبين الأصدقاء، وعبر وسائل التواصل.

هـ. تنمية القيادة لقدرات الموارد البشرية والاهتمام بكفاءتها وفعاليتها:

أرشد القرآن الآباء إلى آليات لتوجيه الأبناء، وتطوير قدراتهم، من خلال أمور، أبرزها:

- التعليم والتعلم:

العلم ميزان للأقوال، والأعمال، والأحوال، وحاكم مفرّق بين الهدى والضلال، ودائرته تسع الدنيا والآخرة(١)، وهو شِعَار الإسلام، وجعل ﷻ حدًا أدنى منه واجبًا على كل مسلم، ورفع قدر العبد بقدر ما عَلِمَ وعَمِلَ، فقال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، مما يدل على مشروعية التعلم، والفهم، والنظر، واتباع البرهان، ونبذ التقليد.

وركز القرآن الكريم على تلقين الآباء أبناءهم التوحيد عن طريق الإقناع، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣] فالحكم على الشرك بأنه ظلم عظيم تعليل لما قبله، فهو ظلم لِمَا فيه من وضع الشيء في غير موضعه، وهو عظيم لما فيه من التسوية بين من لا نعمة إلا منه ﷻ، ومن لا نعمة له(٢).

كما عَرَّف الولد بعظيم قدرة الله ﷻ: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان:١٦] أي: لَطُفَ الله ﷻ في إحاطة علمه وخبرته، حتى اطَّلع على البواطن والأسرار، وخفايا القفار، والبحار، والسماوات، والأرضين، والمقصود الحث على مراقبته ﷻ، والعمل

(١) راجع: مدارج السالكين، (٤٣٩/٢).

(٢) راجع: فتح القدير للشوكاني، (٢٧٣/٤)، روح المعاني، (٨٤/١١).

بطاعته، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ، أو كَثُرَ[١]، وبعد تنمية الرقابة الذاتية، أمر الولد بطاعة الله ﷻ المستحق للعبادة وحده: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان:١٧]، ووجهه إلى جملة من الآداب النفسية والاجتماعية، معللًا الحكمة من مشروعيتها: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٨، ١٩] وبهذا خاطب العقل، وأيقظ الروح الدينية، وحث على العمل بمقتضى العلم.

- التدريب الفعال المستمر:

التدريب طريق للإتقان، وجاء الحث عليه في قول لقمان عليه السلام لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان:١٧] فـ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي: أدّها كاملة الأركان والشروط، على النحو الذي يرضيه ﷻ، بإخلاص، وإقبال، وإخبات[٢]، وفي هذا تدريب على إصلاح النفس، بالتزام النظام، والانضباط، والتطهر، وأخذ الزينة، والمثابرة، والمجاهدة، وعلو الهمة، والسمو الروحي بالتعلق برب العالمين ﷻ، ما دام العبد حيًا.

ويستمر لقمان عليه السلام في تدريب ولده ليصل إلى درجة من النضج، وامتلاك روح المبادرة، وممارسة الفاعلية الاجتماعية، ليصبح مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وفيه تدريب على الغَيْرَةِ على الدين، وتحمّل مسئولية تقويم سلوك الآخرين، وإصلاح المجتمع، ثم يدرب ولده على الصبر، وضبط النفس، وقوة الإرادة: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾؛ ليتحمّل المتاعب، والمشقّات، والآلام، ويداوم على فعل الخير، لضرورة التحلي بالصبر عند مخالطة الناس، أو لإنجاز العمل النافع.

---

(١) راجع: تيسير الكريم الرحمن، (ص٦٤٩).

(٢) راجع: تفسير المراغي، (٨٤/٢١)، التفسير الوسيط للزحيلي، (٢٠٢٧/٣).

ومن تدريب الوالد ولده ليصل إلى صحة العقل، وسلامة الرأي، وعدم الانخداع بظواهر الأمور التدريب على الصبر ضد دوافع التعبير عما يختلج في النفس، والتَّمَرّن على الكتمان وحفظ الأسرار: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾ [يوسف:٥].

- تحديد معايير لتقييم الأداء:

حفل القرآن الكريم بوسائل قياس ناجعة للتأكد من موافقة الأداء الفعلي للعمل داخل الأسرة للمعايير المحددة، بمراجعة أعمال كافة الأعضاء رؤساء ومَرْءوسِين، وتقييمها، وتقويمها، ومن هذا:

* **تَعَرّف نقاط القوة، وتنميتها، وزيادة تفعيلها، وتطويرها**، كما في قوله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝٤٣﴾ [مريم٤١-٤٣]، فقد بَيَّن ﷻ أسباب تَمَيّز الابن إبراهيم عليه السلام على أبيه، وهي الصدق، والنبوة، والعلم، والهدى، والاستقامة، حتى أضحى لإبراهيم عليه السلام أحقية تقييم أبيه (قائد الأسرة)، ونقد انحرافه عن توحيد الله ﷻ.

ومع إتاحة الأب حرية التعبير عن الرأي لذريته تُقيّم البنت أداء الكليم موسى عليه السلام - أحد المتعاملين الخارجيين مع الأسرة، فيتّخذ الأب قرارًا لتنمية الأسرة، بناءً على قولها: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ۝٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ [القصص:٢٦، ٢٧].

ومن زيادة تفعيل نقاط القوة وتطويرها داخل الأسرة التي يعود نفعها على العالم بأسره سؤال موسى عليه السلام ربه ﷻ: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤﴾ [القصص:٣٤]، فإن كان موسى أقوى بدنًا فهارون أطلق لسانًا، وأوضح بيانًا؛ لذا سأل الله ﷻ النبوة لأخيه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ

أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ [طه:٢٩- ٣٢]، فاستجاب الله ﷻ دعاءه، وقال ﷻ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣﴾ [مريم:٥٣]، فارتقى موسى عليه السلام بنقاط القوة في أخيه وطوَّرها، حتى غدا من المصطفين الأخيار أئمة المتقيين: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾ [الأنبياء:٤٨].

* **الوقوف على نقاط الضعف**، وتصويب ما يناسب التصويب، وتقويم أخطائه، أو حلِّ مشكلاته، أو تعديله، أو استبداله، وتعددت صور ذلك في القرآن الكريم، منذ خالف آدم وزوجه -عليهما السلام- معايير الأداء التي حددها الله ﷻ لهما، فَعُوقِبا بالخروج من الجنة: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ [البقرة:٣٥، ٣٦]، فتداركا الخطأ، وقوَّما السلوك: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة:٣٧].

ويأتي الوقوف على نقاط الضعف ومحاولة الإصلاح في مساره الطبيعي حين يُقَيِّم الأب خطأ ابنه، ويبذل جهده في إصلاحه، كما قال ﷻ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ [هود:٤٢]، على حين تنقلب الأمور في قوله ﷻ: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾ [العنكبوت:٨]، فمع وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما فطاعتهما مرتبطة بتقييم الولد لأدائهما حق الله ﷻ، فإن أشركا، ولم يُجبرا الابن على الإشراك؛ فلهما الطاعة في المعروف مع حسن الصحبة، وإن أكرهاه على الإشراك فلهما الإحسان، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله ﷻ: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان:١٥]، فليس للقيادة الأبوية القداسة والطاعة المطلقة، فالكبير والصغير يُقيَّم، ويُقوَّم.

ورصد القرآن والسنة موقفًا قَدَّرت فيه الزوجة جميع نقاط الضعف في الأسرة وقائدها بصدق وشفافية(١)، فاتّسعت دائرة التقييم والتقويم لأحكام شرعية حَلَّت معضلات المشكلات الأسرية، في قصة خولة بنت ثعلبة – رضي الله عنها– كما قال ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[المجادلة:١]، فقد عددت المرأة في شكواها مدلهمات حلت بالأسرة، منها: مشكلة صحية، كضعف البدن بسبب تقدم عمر الزوجين، ومشكلة خُلقية لضيق صدر الزوج، وضجره، وسرعة غضبه، ومشكلة فكرية، هي عدم قبوله سماع رأي الزوجة، وإصداره أحكامًا مصيرية في وقت ثورته، ومشكلات اجتماعية، هي انفصام عُرى الزوجية، وآثاره على الزوجين والأبناء، ومشكلة نفسية، هي الفراق بعد طول الصحبة، ومشكلة اقتصادية، تتمثل في شدة الفقر، وقلة ذات اليد.

وبَقِي شعاع النور ونقطة القوة وسط حوالك هذه الظلمات في السمو الروحي، ورفع أكف الضراعة إلى الباري، فيسمع ﷻ، ويُجيب، ويُقَوِّم خطأ الزوج: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ﴾[المجادلة:٢]، ويُشَرِّع الله ﷻ أحكام الظهار، فإذا بالكرب ينفرج، والصبح ينبلج، قال ﷺ: "**يُعتِقُ رقَبةً**"، قالت: "لا يَجِدُ"، قال ﷺ: "**فَيَصُومُ شَهْرَيْنِ متتابعين**"، قالت: "يا رسولَ الله، إنه شيخ كبير، ما بِهِ مِن صيامٍ"، قال ﷺ: "**فَلْيُطْعِمْ سِتينَ مسكِينًا**"، قالت: "ما عِندهُ مِن شيءٍ يتصدَّقُ به"، قالت: "فأُتِيَ ساعتئذٍ بعَرَقٍ مِنْ تمرٍ"، قلتُ: "يا رسولَ الله، فإني أُعينُه بعرَقٍ آخر"، قال: "**قد أحسنتِ، اذهبي فأطْعِمِي بها عنه ستينَ مسكينًا، وارجعي إلى ابنِ عمك**"(٢).

---

(١) راجع تفاصيل القصة: مسند أبي يعلى: مسند عائشة: (٨/٢١٤ح٤٧٨٠ ت حسين أسد)، صحيح ابن حبان: كتاب الظهار، (١٠/١٠٧ح٤٢٧٩).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الطلاق: باب في الظهار، (٣/٥٣٧ح٢٢١٤)، صحيح لغيره، والصاع: مكيال يساوي: ٢١٧٢ جراما، راجع: قاموس المصطلحات الاقتصادية ص٣٢٤.

ويخضع قياس تقييم الأداء لمؤشرات تستند إلى أدلة ووثائق، وتعتمد على الصدق، والإنصاف، والبعد عن اتباع الهوى، وقد قص القرآن الكريم نموذجًا لتقييم قيادة الأسرة وأعضائها وفق الأهواء الشخصية، وبيَّن سوء عاقبة ذلك، كما قال ﷻ عن أبناء يعقوب عليه السلام: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف:٨]، حيث قَيَّم إخوة يوسف عليه السلام أفراد الأسرة من زوايا يرونها، من غير التقاط الصور الكاملة للمواقف والأحداث.

ووصفوا أباهم عليه السلام بالضلال المبين، ويحتمل ذلك ثلاثة أوجه: خطأ الرأي، وجور الفعل، والمحبة الظاهرة، وهذا لثلاثة أسباب: أنه فضّل الصغير على الكبير، والقليل على الكثير، ومن لا يراعي ماله على من يراعيه، فهم عصبة لهم مزية تقتضي تفضيلهم؛ إذ لهم من النفع له، والذّب عنه، والكفاية ما ليس لهما[١]، وبهذا قدحوا برأيهم في القيادة (الأب)، وفضّلوا أنفسهم على أخويهم الصغيرين (يوسف، وبنيامين)، وحكموا بمقاييس مادية ظاهرة هي كثرة عددهم وقوتهم.

والجواب على تقييمهم: أن يعقوب عليه السلام ما فضَّل يوسف وأخيه على سائر الأولاد إلا في المحبة، وهي ليست في وسع البشر، لكن ما يفعله الإنسان بقلبه وروحه تظهر آثاره وسلطانه على جوارحه، فهو معذور لا لوم عليه، وإنما ضلَّ إخوة يوسف عليه السلام عن غريزة الوالدين في زيادة العطف على صغار الأولاد وضعافهم[٢]، كما يرجع تفضيل يعقوب عليه السلام يوسف على سائر الأولاد لأنه بُشِّر بنبوته[٣]، فالمحبة إمّا عفوية فطرية، وإما دينية شرعية، ويدل على هذا أن الله ﷻ لم يعب على يعقوب عليه السلام مطلقًا، بل ظهر من كلام بنيه الإقدام على كبائر المعاصي، كاتهام النبي المعصوم بالضلال، وكالحسد، والشروع في القتل، وقطع

(١) راجع: النكت والعيون، (١٠/٣)، السراج المنير، (٩٢/٢).
(٢) راجع: مفاتيح الغيب، (٤٢٣/١٨)، تفسير المنار، (٢١٥/١٢، ٢١٦).
(٣) راجع: تأويلات أهل السنة، (٢١١/٦).

الرحم، كما قالوا: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف:٩] أي: "يَصْفُ، ويَخْلُص؛ فيقبل عليكم، ويحبكم حبًا كاملًا"(١)، فحسدهم ليوسف كراهية لحصول تلك النعمة له(٢)، وليس لضلال أبيهم، ولهذا جاء عتاب يعقوب عليه السلام لهم في مواضع منها: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف:١٨]، وردّ عليهم بحِكْمَة في الوقت المناسب أنه ليس به ضلالة: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٩٦]، وتنتهي القصة بظهور الحق، واعترافهم بأن الضلال كان منهم، وبحاجتهم إلى التقويم: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف:٩١]، ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف:٩٧].

- **التحفيز الفعَّال(٣):**

إن وجود حافز للعمل أساس في جودته، وزيادة إحسان المحسن، وتشجيع المقصر على التحسين والتطوير، والتحفيز للعمل الصالح مبدأ رباني، حيث ربط الله ﷻ إعطاء الحوافز بمعدلات أداء العمل، فقال ﷻ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأحقاف:١٩]، مما يدل على وضوح أهداف التحفيز، وتفاوت مراتب العاملين، ومناسبة الحوافز للأشخاص، وملاءمتها لاحتياجاتهم، وقوله ﷻ: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ يدل على أن الحوافز مستمرة، ومتجددة، ومحددة، ومعلومة، والقرآن والسنة حافلان بكافة أساليب التحفيز الأسري، وتشمل:

---

(١) فتح القدير للشوكاني، (١٠/٣).

(٢) راجع: مفاتيح الغيب، (٦٤٦/٣).

(٣) تحفيز يستخدم مجموعة من العوامل، والمؤثّرات، والأدوات، والوسائل، التي تدفع الفرد للإقبال على سلوك مُعَيَّن، وتعمل على التعزيز الإيجابي، وبناء الثقة بالنفس، والحصول على أفضل ما لدى الآخرين من الإمكانات والقدرات، راجع: قوّة التَّحفيز ص٥، السُّلوك التنظيمي في إدارة المؤسَّسات التَّعليميَّة، ٣٠١، ٣٠٢.

الحوافز بين المادية والمعنوية، ومنها:

- **التعبئة الروحية في توازن مُحكَم مع الجوانب المادية**؛ لمنح المسلم كفاءة وفاعلية في الأعمال الدنيوية والأخروية، ومن ذلك لمَّا شكا الصحابة ﷺ تباين أحوالهم بين يدي النبي ﷺ عنها إذا خالطوا الأزواج والأولاد، أو اشتغلوا بمعايشهم، كما قال حَنْظَلَة الْأُسَيِّدِيّ ﷺ: "نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ"، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**وَمَا ذَاكَ؟**"، قال حَنْظَلَةُ: "يَا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ، وَالْأَوْلَادَ، وَالضَّيْعَاتِ(١)، نَسِينَا كَثِيرًا"، فعلَّمه ﷺ أنه لا رهبانية في الإسلام، وقَالَ: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ؛ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ –يَا حَنْظَلَةُ– سَاعَةً وَسَاعَةً**" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٢)، فالدين لا يتصادم مع إصلاح المال، ومعاشرة الأهل والأولاد، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتجاوز بذلك حد جواز الاستمتاع بالمباحات، إلى أن جعل إتيان الأهل من القربات، كما قال النبي ﷺ: "**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**"(٣).

- **تقدير المخاطبين بعبارات الثناء**، كما في قول خديجة – رضي الله عنها– لمَّا رجع إليها النبي ﷺ يرجف في بدء الوحي، وقَالَ: "**أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**"... قَالَتْ خَدِيجَةُ– رضي الله عنها: "كَلَّا، أَبْشِرْ؛ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ

---

(١) (عافسنا) أي: عالجنا، وحاولنا، وشُغلنا بهذه الأمور، و(الضيعات): جمع ضيعة، وهي: ما يكون معاش الرجل منه، كالمال، والحرفة، والصناعة. راجع: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (٦٧/٧).

(٢) صحيح مسلم: كتاب التوبة: باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، (٢١٠٦/٤ح٢٧٥٠).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (٦٩٧/٢ح١٠٠٦).

أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ"(١)، وأرادت أمّ المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – أن الخصال الفاضلة تكون دافعةً للآفات، ومن يفعل الخير لا يجازى عليه بالشر، وهذا تأنيس منها لرسول الله ﷺ، ودليل على كمالها، وغزارة فهمها، وعلو شأنها في البلاغة، إذ استوفت المحاسن بأفصح اللغات، وأرشق العبارات(٢).

– **مكافآت العاملين المتميزين:** قرر الله ﷻ أن جزاء الإحسان إحسان، ومن صور ذلك في القرآن: قصة محنة شاقة، وبلوى مزعجة، وقعت في بيت الخليل إبراهيم عليه السلام مع ولده إسماعيل عليه السلام الذي وهبه الله ﷻ إياه على الكبر بعد طول انتظار: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ [الصافات:١٠٢-١٠٧] وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ أي: استسلما، وانقادا لأمر الله ﷻ، وفوضا إليه ﷻ الأمر في قضائه وقدره، من غير إبطاء، ولم تبق أية منازعة من الوالد أو الولد، بل استسلام صرف، وتسليم محض، واستلّ الخليل إبراهيم عليه السلام السكين، وصرع ابنه إسماعيل عليه السلام، وأكبه على وجهه، فوقع جبينه على الأرض؛ حتى لا يَرى وجهه؛ فيشفق عليه(٣)، ولمَّا حصل توطين النفس والجزم المصمم، وحدثت المقدمات، وتَمَّ لهما أجر

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن: بَابُ (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)، (١٧٣/٦ح٤٩٥٣).

(٢) (لا يخزيك) أي: لا يهينك يفضَحُك ويذلك، وَ(الْكل): الأثقال، والحوائج المهمة، و(تكسب الْمَعْدُوم) أي: المُعْدَم، والمعنى: تكسبُ ما يعجز غيرك عن كسبه ويَعْدَمَهُ، (وتعين على نوائب الحق): تُعين مَن تصيبه النوائب من الفقر، والقحط، والخوف العظيم، وغير ذلك، فأنت تدفعها عنهم، وتعينهم على دفع ذلك، راجع: إكمال المعلم، (٤٨٥/١)، كشف المشكل، (٢٧٤/٤، ٢٧٥)، المفاتيح في شرح المصابيح، (١٥٨/٦).

(٣) راجع: مدارج السالكين، (١٩٦/٣)، محاسن التأويل، (٢١٨/٨)، تفسير المراغي، (٧٤/٢٣).

الإحسان وثوابه، وفازا بالشرف، والقرب، والزلفى من الله ﷻ، فداه الله ﷻ بكبش حصل به مقصود هذه العبادة، التي لا يشبهها عبادة، وصار سُنَّة في عقبه إلى يوم القيامة، يتقرب به إلى الله ﷻ، ويدرك به ثوابه ورضاه(١).

- **الإفصاح عن توقع النجاحات المستقبلية** يُهَيِّئ لتحقيق الإنجازات، ويُبشّر بإحراز الأمنيات، كما قال يعقوب عليه السلام لولده يوسف عليه السلام في صباه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف:٦]، فكانت العاقبة: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ﴾ [يوسف:٢١]، وبعد طول ابتلاء وعناء: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ﴾ [يوسف:١٠٠]، حيث أيّده ﷻ بنصره ومعونته، واصطفاه، وأعلى قدره، واختاره للصفات الحميدة والأفعال السديدة، وطهّره من الآفات المنقصة، وفضّله على سائر أخوته، وعلى أكثر العالمين، وتجاوز هذا التبشير بالخير جيل الأبناء إلى الأحفاد، في قوله ﷺ عن الحسن رضي الله عنه: "**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، يُصْلِحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ**"(٢).

الحوافز بين الإيجابيَّة والسَّلبيَّة(٣)، ومنها: الثواب والعقاب:

اعتمد الله ﷻ سياسة الثواب والعقاب منهجًا لوقف الأخطاء، وكف السلوك المُعْوَّج، والحثّ على الاستقامة، وفعل الصواب، ومن أمثلة ذلك في الحياة الأسرية

---

(١) راجع: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، (١/ ٢٠٧، ٢٠٨).

(٢) سنن الترمذي: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، (٥/٦٥٨ح٣٧٧٣)، حسن صحيح.

(٣) تقوم الحوافز الإيجابيَّة والسَّلبيَّة على مبدأ الثواب والعقاب، بإثابة المحسنين وتشجيعهم، وتلبية حاجاتهم، وإكسابهم روح المُبادَرة لتقديم المقترحات والأفكار البنَّاءة التي ترتقي بالمؤسَّسة، ومعاقبة المقصرين، بوسائل محدَّدة واضحة؛ للأخذ بأيدهم إلى النُّهوض والانضباط. راجع: أثر الحوافز في تحقيق الرِّضا الوظيفي لدى العاملين، (ص٢١، ٢٢).

قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ [الأحزاب:٢٨-٢٩]، واختلف المفسرون في الآيتين، ألهما سبب نزول، أو نزلتا ابتداء وابتلاءً؟ فقيل: نزلتا بسبب سؤالهن النبي ﷺ شيئا من عرض الدنيا، أو لغيرة كانت بينهن(١)، وقيل: امتحن الله ﷻ رسوله ﷺ وأزواجه – رضي الله عنهن– بالتخيير واختيار الفراق ابتداء من غير سبب نزول(٢).

وكلا القولين جائز، لكن القرائن تؤيد أنهما نزلتا لسبب، ومنها قوله ﷻ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ ٤﴾ [التحريم:٤]، وحديث جابر ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اعْتَزَلَ نِسَاءَهُ شَهْرًا**"(٣)، وقول عمر ﷺ لابنته: "أَيْ حَفْصَةُ، أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟"، فَقَالَتْ: "نَعَمْ"، فَقُلْتُ: "خَابَتْ، وَخَسِرَتْ، أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ؛ فَتَهْلِكِينَ"(٤).

وعلى وُرود الآيات لسبب تكون تحفيزًا قائمًا على مبدأ الثواب والعقاب، فقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ "أمر إيجاب في تخييرهن"(٥) بين الدنيا والآخرة، فمن اختارت الدنيا وزينتها كان الجزاء "﴿أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ متعة الطلاق، ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾، يعني: أطلقكن طلاق السنة من غير إضرار"(٦)، وذكر ﷺ أن المرأة

(١) راجع: جامع البيان، (١٩/٨٤)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٣/٥٣٤).
(٢) راجع: تأويلات أهل السنة، (٨/٣٧٥).
(٣) صحيح مسلم: كتاب الصيام: باب الشهر يكون تسعا وعشرين، (٢/٧٦٣ح١٠٨٤).
(٤) صحيح البخاري: كتاب المظالم والغصب: بَابُ الغُرْفَةِ وَالعُلِّيَّةِ المُشْرِفَةِ، (٣/١٣٣ح٢٤٦٨).
(٥) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (٢٢/٤٨٤).
(٦) بحر العلوم، (٣/٥٨).

"**كَسْرُهَا طَلَاقُهَا**"[(١)]، فهذه عقوبة من تُشوش عليه ﷺ ذهنه، وتكدِّر صفوه؛ فتعرقل مسيرة دعوته إلى الله ﷻ.

وتستمر الآيات في التحفيز السلبي بترهيب من رضيت بأن تكون زوجًا له ﷺ من الشروع في العصيان؛ لأنها ليست كسائر النساء: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ [الأحزاب:٣٠]، وفي المقابل يأتي التحفيز الإيجابي بقوله ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ [الأحزاب:٢٨]، ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [الأحزاب:٣١]، فلمّا اخترن النبي ﷺ أثابهنّ الله ﷻ بالتفضيل على سائر النساء: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب:٣٢]، وجَعَلَهُنَّ أُمَّهات المؤمنين، وحظر عليه ﷺ طلاقَهُنَّ والاستبدال بهنّ: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الأحزاب:٥٢][(٢)].

الحوافز بين الفردية والجماعية، ومنها:

الأصل في خطاب المكلفين أنه عامّ لجميع المسلمين، كقول الله ﷻ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ [النور:٣٢] فهو من العمومات المتسعة[(٣)]، والأمر في قوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ محتمل الوجوب والندب[(٤)]، وفيه تحفيز للمؤمنين على تكوين أسر صالحة، وقول الله ﷻ: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ فيه وعد بالغنى للمتزوجين طلبًا

(١) صحيح مسلم: كتاب الرضاع: باب الوصية بالنساء، (٢/١٠٩١ح١٤٦٨).

(٢) راجع: زاد المسير في علم التفسير، (٣/٤٦٠).

(٣) راجع: شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، (ص٦٣١).

(٤) راجع: المستصفى، (ص٢٠٧)، تفسير البغوي، (٦/٣٨).

لرضاه ﷻ، واعتصامًا من معاصيه- بأن يغنيهم ﷻ إن شاء بالنكاح عن السفاح، أو يُغنيهم بالمال أو بالقناعة، أو باجتماع الرزقين(١).

وكما رغب الله ﷻ المؤمنين في بناء الأسر حفزهم على طلب الذرية، وحضهم على السعي في صلاحها، فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ الطور: ٢١]

أي: يلحق بهم ذريتهم المؤمنة في منازل الجنة ودرجاتها، وإن لم تبلغ بهم أعمالهم ذلك؛ لتقرّ بهم أعينهم، إذا رأوهم على أحسن الأحوال، فيُرفع الناقص في عمله إلى الكامل فيه، ولا ينقص من عمله هو، ولا منزلته(٢)، فالثواب ليس مقصورًا على الجهد الفردي، فقد ينتج من عمل الآخرين بالأسرة.

وفي المقابل يأتي التحفيز الفردي في مواضع من أبرزها:

- **التحفيز الفردي الإيجابي** في خوارق العادات الأسرية، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء:٩١]، حيث تنحّت مريم ابنة عمران العذراء البتول عن الناس في مكان مستور؛ لتنفرد بعبادة الله ﷻ، فبعث ﷻ لها ملكًا في صورة بشر، فاستجارت بالله ﷻ أن ينالها منه سوء، فأجابها أنه مرسل من الله ﷻ ليهب لها ولدًا، طيبًا، طاهرًا، ليكون علامة للناس على قدرة الله ﷻ في خلق ولد من غير أب، من أم عفيفة حَصان رزان ما لا تُتّهم بريبةٍ، وليصبح رحمة لأمه ولمن آمن، وأن هذا قضاء الله ﷻ الذي قدره في اللوح المحفوظ، فحملته، ولمّا ضربها المخاض تمنت لو ماتت قبل هذا؛ حتى لا يُظن بها السوء، فيأتيها التحفيز في هذا الوقت العصيب: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ

(١) راجع: النكت والعيون٤/٩٨، مفاتيح الغيب٢٣/٣٧١، الجامع لأحكام القرآن١٢/٢٤١.

(٢) راجع: تفسير المراغي، (٢٧/٢٥).

عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم٢٤-٢٦]، ويُبَرِّئَهَا ﷻ، ويؤيدها بمعجزات باهرات؛ برهانًا على أنها آية، ولم تدنس العرض المصون: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم٢٩-٣٠].

- **التحفيز الفردي السلبي** بحصر العقاب في الجاني، دون سائر أفراد الأسرة، كما تقرر القاعدة الأصولية أن الإنسان لا يُؤاخَذ بذنب غيره(١)، ما لم يشارك في فعله ولم يتسبب فيه، لقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥]، ومن ذلك قول إخوة يوسف عليه السلام لمَّا وُجِدَ صواع الملك في رحل أخيهم(٢): ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ۙ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف:٧٨، ٧٩]، أي: أعوذُ باللهِ ﷻ أن نجور على الناس ونظلمهم، ونأخذ بريئًا بمن وجدنا متاعنا عنده، وآثر قول: ﴿مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ دون (من سرق متاعنا) لتحقيق الحقّ، وتحري الصدق، والاحتراز عن الكذب، مع تمام المرام، فهو ليس بسارق، لكن المتاع عنده، وهم لا يحمِلون وُجدان السقاية في الرحل على محمل غيرِ السرقة(٣).

و. آليات فاعلة للتعامل مع المشكلات:

تتقلب الحياة الأسرية بين الائتلاف والاختلاف، والوفاق والشقاق، والاجتماع والفراق؛ لتباين طباع البشر، وأفكارهم، ومشاعرهم، واتجاهاتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، أو لصدور ما يكره من الأفعال لأسباب اقتصادية،

(١) راجع: ترتيب الفروق واختصارها، (٢٠٣/١).

(٢) (صواع الملك): إناء الملك الذي كان يشرب فيه، (في رحل أخيه) يعني: في متاع أخي يوسف ابن أمه وأبيه، وهو بنيامين. جامع البيان، (٢٤٦/١٣، ٢٥١).

(٣) راجع: جامع البيان، (٢٨٠/١٣)، اللباب في علوم الكتاب، (١٧٦/١١).

واجتماعية، وثقافية، وصحية، وتربوية، وعلمية... تُنتج مشكلات تظهر في صور شتى، منها: الهجرة لتحسين الأحوال المعيشية، وصراع الأدوار بين الزوجين، والتفكك الأسري، وأثر العولمة والأجهزة التكنولوجية على القيم الأسرية والعلاقة بين الزوجين أو على تنشئة الأبناء... لذا أرشد الله ﷻ إلى ما يحفظ نظام الأسرة من الاختلال، وشئونها من الفساد، وعروتها من الانفصام، فوضع أساليب لتفادي وقوع المشكلات، ولحلها بعد حصولها، من أمثلة ذلك:

مشكلات مع القيادة الأسرية:

* **تحديد المشكلة: نشوز المرأة،** قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ [النساء:٣٤]، الخوف يحتمل إقبال المرأة على عصيان زوجها، أو إيغالها في الترفع عليه، أي: تظنون وقوع عصيانهن، أو تعلمون، وتوقنون ذلك(١).

* **تحديد الأفكار السلبية:**

لكل فرد أفكار، واعتقادات، وتوقعات، ومعان، وافتراضات عن ذاته، وعن الآخرين، والعالم المحيط به، توجه سلوكه، وتحدد انفعالاته، وتُسبب المشكلات إن كانت ذات طبيعة خاطئة(٢)، وعلى الزوج أن يراعي أسباب النشوز، والدوافع إليه، وقوتَه وضعفَه(٣)؛ لذا أرشد الله ﷻ أن تكون أولى خطوات حل المشكلة حوارًا يُقرِّب الأفكار المتباينة، ويكشف أسباب المشاعر النافرة، ويفسر السلوك غير المرغوب فيه، كسوء خلق المرأة، أو يُبدي عذرًا لفعلها، كقسوة خلق الرجل، أو بخل إنفاقه، أو إعراضه، أو تقصيره في حقوقها... فقال الله ﷻ: ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ [النساء:٣٤]، والوعظ قول يؤثر في النفس، ويرق له القلب، ويوجه إلى الخير، ولكل امرأة ما يليق

(١) راجع: تفسير الشافعي، (٥٩٩/٢)، جامع البيان(٦٩٦/٦)، بحر العلوم(٣٠٠/١)، البحر المحيط، (٦٢٨/٣).

(٢) راجع: مهارات حل المشكلات الزوجية، (ص١٧).

(٣) راجع: مقاصد الشريعة الإسلامية، (١٨٩/٢).

بمثلها من الإنكار، أو اللوم، أو التوبيخ، أو التذكير بما أوجب الله ﷻ عليها من حسن الصحبة وجميل العشرة، والاعتراف بحق الزوج، ووجوب طاعته في المعروف، أو الترغيب في أن تكون من الصالحات، أو الترهيب من سوء عاقبة النشوز في الدنيا والآخرة، كل ذلك بحسب ما يؤدي إليه اجتهاد الزوج، فالعاقل لا يخفى عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب امرأته(١).

واختلف العلماء في المراد من الأمر في قوله ﷻ: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾، فذهب قوم إلى أنه للإباحة، كالهجر، والضرب(٢)، ورأى غيرهم استحبابه(٣)، بينما قرر آخرون أن الوعظ إنما يكون من المحرمات(٤)، وعليه فالأمر للوجوب، وهذا هو الصواب؛ لأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر الاستطاعة، ومن وقاية الأهل من النار.

*** تحديد احتمالات حل المشكلة:**

حل المشكلات يتضمن حاجات، وأهدافا، وقيما، ومهارات... ويتطلب التوفيق بين العقل، والعاطفة، والإدارة، والعمل؛ لذا يجب جمع الحقائق المتصلة بالمشكلة قبل الشروع في حلها، وقد بَيَّنَ قوله ﷻ: ﴿فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء:٣٤] احتمالات حل المشكلات وفق حقائق ومعلومات، ومنها:

– العلم بسبب المشكلة، فقوله ﷻ: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ يدل على العلم بالسبب الذي يؤدب الرجل زوجه عليه، ببينة أو إقرار منها(٥)، فالوعظ إنما يؤتي ثماره إن كان

(١) راجع: الفصول في الأصول، (٢٨/٤)، تفسير المنار، (٥٩/٥)، زهرة التفاسير، (١٦٧٠/٣).
(٢) راجع: بحر المذهب للروياني، (٥٦٤/٩).
(٣) راجع: روضة الناظر وجنة المناظر، (٢٦٩/٢).
(٤) راجع: ترتيب الفروق واختصارها، (٢٨٥/١).
(٥) راجع: البيان والتحصيل، (٧٣/٥).

مُنَزَّلًا على واقع المُخَاطب، مناسبًا لحاله، ومع الحوار الهادئ يستطيع الزوجان دراسة المشكلة، وتقييم احتمالات حلها.

– معرفة أحوال النساء، فقوله ﷻ: ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ يُبَيِّن اختلاف أمزجة النساء، وتباين طباعهن، وأن ما يلائم طائفة قد لا يناسب أخرى، فمن النساء من تكفيها كلمة، ومنهن من ينفع معها الهجر في المضجع، ومنهن من لا يجدي معها إلا الضرب(١).

– اختبار احتمالات حل المشكلة باستقراء الواقع: شرع الله ﷻ لعلاج النشوز ثلاثة أشياء مرتبة ينبغي أن يتدرج فيها، وهي العظة، والهجر، والضرب(٢)، وبدأ بالعظة خطابًا للعقل الذي كرم الله ﷻ البشر به؛ احترامًا لإنسانية المرأة، وعند إخفاق حوار العقل استدعى أوطار العاطفة، فقال الله ﷻ: ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾، فالمرأة التي خرجت عن حقوق زوجها ترفعت عن طبيعتها، وما يقتضيه نظام الفطرة في التعامل، فجاء علاجها بتحريك المشاعر الفطرية، إذ جرت العادة بأن الاجتماع في المضجع يهيج شعور الزوجية(٣)؛ لعلها تفيء.

*** الوصول إلى حل عن طريق البيانات:**

إن لم تستجب المرأة لنداء العقل والفطرة، ولم يتّسق خطوها مع خطو زوجها، وينتظم شأنها مع شأنه، وافتقر عُش الزوجية إلى السكن والمودة والرحمة؛ فلعلاج هذه المشكلة عدة حلول: أولها: حل المشكلة في إطار الأسرة، بتأديب الزوج زوجه، حيث أباح ﷻ تعزير المرأة بضرب غير مبرِح، ودون الحد؛ تأديبًا، وتهذيبًا، إن ظن

(١) راجع: الوسيط في المذهب، (٣٠٥/٥)، آداب الحياة الزوجية، (ص١٧).
(٢) راجع: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٧٣/٢).
(٣) راجع: تفسير المنار، (٥٩/٥)، تفسير المراغي، (٢٨/٥).

الرجل أن الضرب يفيد؛ فإن ظن عدم الإفادة فلا يجوز الضرب؛ لأنه وسيلة إلى صلاح الحال، والوسيلة عند ظن عدم مقصودها غير مشروعة(١).

وثانيها: التحكيم والصلح: إذا لم يتمكن الزوجان من تسوية الخلاف بينهما بأنفسهما، أمر الله ﷻ ببعث حكمين صالحين عدلين، حسني السياسة والنظر في حصول المصلحة، عالمين بحكم الله ﷻ في الواقعة التي حكّما فيها، من أهل الزوجين كليهما؛ لحل النزاع، وإعادة الوفاق بينهما؛ لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطيب للصلاح، ونفوس الزوجين أسكن إليهما، فقال ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء:٣٥]؛ ليكون للحكمين نظر وراء نظر الزوجين، وليدرسا أسباب الخلاف، ويتعرفا على موطن الداء، ويريا له الدواء، من الجمع والتوفيق، أو التفريق بعوض، أو بدون عوض(٢).

وثالثها: التفريق بينهما: إن لم تُجْدِ الحلول السابقة، وتعذَّرت العِشرة بالمعروف بين الزوجين، وخُشي أن لا يقيما حدود الله ﷻ؛ جاز فسخ النكاح؛ لإزالة الضرر والحرج، وحل الخلافات التي لا تتم إلا بذلك، لذا قال ﷻ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء:١٣٠]، ووقع الإجماع على جواز الطلاق، إن فسدت الحال بينهما، وصار بقاء النكاح مفسدة محضة، وضررًا مجردًا، مع الخصومة الدائمة من غير فائدة، فاقتضى ذلك شرع ما يزيل النكاح؛ لتزول المفسدة الحاصلة منه(٣)، حين تكون مضرة التفريق دون مضرة الحياة القائمة على الخلاف والشقاق.

---

(١) راجع: فتح القدير، (٣٤٥/٥)، تحبير المختصر، (٩٦/٣)، توضيح الأحكام، (٨١/٢).

(٢) راجع: الوسيط في المذهب، (٥/ ٣٠٨)، شرح مختصر خليل، (٨/٤)، تيسير اللطيف المنان(١٣٩/١)، التفسير القرآني للقرآن، (٧٨٤/٣)، النشوز بين الزوجين، (ص٤٥).

(٣) راجع: المغني لابن قدامة ط مكتبة القاهرة، (٣٦٣/٧).

مشكلات غياب القيادة الأسرية:

إن أفجع كارثة تنزل بالأسرة المسلمة خلو منصب قيادتها، بسبب وفاة رئيسها الزوج الرفيق، والأب الشفيق، أو غيابه، أو انشغاله الدائم بتحصيل الرزق، أو الطلاق... وقد نبه الله ﷻ قائد الأسرة إلى توقع حلول مثل هذه النوائب، وحضَّه على أن يُعِدَّ لها عُدتها، فقال ﷻ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء:٩]، كما شرع ﷻ عند حلول هذه النكبة أحكامًا لإدارة الأزمات، وتصحيح الإجراءات، منها:

– الترغيب في التكافل الاجتماعي، والإحسان إلى الضعاف واليتامى، والقيام على مصالحهم وحقوقهم، لقوله ﷺ: "**الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله ﷻ، وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**"(١).

– حض المرأة على تحمل مسئوليات رعاية الأسرة، فهي راعية ومسئولة عن رعيَّتها، وقد حثَّ النبي ﷺ على كفالة الأيتام، بقوله ﷺ: "**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**"، **وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا**(٢).

– مشروعية الحضانة لحفظ الصغار عما يؤذيهم، وتعهدهم والقيام بمؤنهم، وتربيتهم وتقويمهم بما يصلحهم في دينهم أو دنياهم، عند وقوع فراق بين الزوجين، أو موتهما، أو موت أحدهما، والأصل فيها قوله ﷻ عن المطلقات: ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ﴾ [الطلاق:٦]، وقوله ﷺ لامرأة سألته عن ولدها: "إِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي، وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِّي"، فَقَالَ لَهَا ﷺ: "**أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ، مَا لَمْ تَنْكِحِي**"(٣).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق: باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، (٤/٢٢٨٦ح٢٩٨٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الطلاق: باب اللعان، (٧/٥٣ح٥٣٠٤).

(٣) سنن أبي داود: كتاب الطلاق: باب من أحقُّ بالولدِ، (٣/٥٨٨ح٢٢٧٦)، سند حسن.

"وأجمعوا أن الزوجين إذا افترقا ولهما ولد (طفل) أن الأم أحق به، ما لم تنكح"(١).

– الوصاية على الأيتام: لقائد الأسرة إذا حضره الموت أن يُعَيِّن من يثق به للإشراف على التركة، ورعاية مصالح الأولاد الصغار، وحفظ حقوقهم من الضياع؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾ [النساء:٥].

– التحذير من أكل أموال اليتامى؛ لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء:١٠]، والأمر بمعاملتهم بالعدل والفضل؛ لقوله ﷻ: ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء:١٢٧]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾ [البقرة:٢٢٠].

(١) الإجماع لابن المنذر، (ص٨٤).

المبحث الثالث

التأصيل الشرعي للتخطيط الإستراتيجي الأسري

التخطيط الإستراتيجي في الأسرة سلسلة من خطوات منطقية منظمة هادفة، بمشاركة قيادة الأسرة مع أعضائه كافة، تبدأ بصياغة الاستراتيجية، وتحديد رؤيتها، ورسالتها، وغاياتها، وأهدافها، ثم تطبيقها بوضع برامج تفصيلية، وتحديد مدتها ووجهتها، والمشروعات اللازمة لها، مع بيان وسائل وطرق تحقيقها، وكيفية إدارة الإجراءات، وتوزيع الأدوار والميزانيات، ثم الرقابة بتحديد مجالات القياس، ومعايير الأداء، والإجراءات التصحيحية.

الرؤية:

أولى خطوات التخطيط الأسري أن تنشأ الأسرة على تصورات واضحة المعالم، وطموحات مستقبلية، تصبو إلى تحقيقها من خلال أفرادها، وقد أثنى ﷻ على عباد الرحمن بأن من دعائهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤]، حيث ابتهلوا إليه ﷻ بجعلهم وتوابعهم من أزواج وذريات موفقين للطاعات وحيازة الفضائل، أتقياء، صالحين، هداة، مهديين، يسرون بمكانهم، وتقرّ النفوس بهم، وتثلج الصدور بسيرتهم العطرة، وأن يكونوا قدوة يُؤْتَمّ بهم في الخير، ويكون نفعهم شاملًا غيرهم(١).

وبهذا لم يطلبوا الأولاد للاستئناس، والاستنصار، والاستعانة بأمر المعاش بهم(٢)، فلم يرضوا بالحد الأدنى، بل لم يقنعوا بأن تكون الأسرة مجرد مؤسسة روحية، اجتماعية، تربوية، تعليمية، خدمية فحسب، وسألوا تحقيق أعلى ميزة تنافسية: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. أي: الوصول إلى مرحلة تبادل الخبرات،

(١) راجع: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، (٢٦٩/٣)، الكشاف، (٢٩٦/٣)، تفسير حدائق الروح والريحان، (١١٩/٢٠)، التفسير المنير للزحيلي، (١١٧/١٩).

(٢) راجع: محاسن التأويل، (٣١٠/٢).

ونشرها، بتحصيل التفوق، ودعوة المؤسسات الأخرى لاتباع المنهج ذاته، وإشراكهم في عمليات التحسين[١]، لتكون الأسرة أسوة حسنة للمجتمع الإنساني المثالي.

وبهذا تتحقق المقاصد الشرعية من النكاح، فالأمة المُسلمة اختارها الله ﷻ لتكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله ﷻ، وتؤدي العمل الصالح، وتبني مجتمعات وشعوب منبثقة من أُسَر صالحة مستقيمة، عارفة بعقيدتها الصحيحة، وتدينها المطلوب، وتعاملها الرشيد[٢]؛ امتثالًا لأمر الله ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

فرؤية الأسرة: أن تصبح أسرة تقية مستقيمة على شرع الله ﷻ، متزنة في جميع جوانب حياتها، ناجحة في علاقاتها الداخلية والخارجية، نافعة لدينها، ومجتمعها، ووطنها، مشاركة في بناء الأمة المُسلمة الرائدة القائدة، مُتَمَيِّز كل فرد فيها بالعمل الجاد، والإبداع، والإنتاج في مجال يختاره.

الرسالة:

تتلخص رسالة الأسرة المسلمة في: (إقامة الزوجين، وأصلهما، وفروعهما شرع الله ﷻ، والارتقاء بالإنسان بتأسيس البيت الصالح، وتحقيق مصالح فطرية، ونفسية، ووجدانية، وأدبية، وخلقية، وصحية، وتربوية، وأسرية، واجتماعية، وتشريعية، وحضارية بوسائل مشروعة، والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض بكل صورها، ومجالاتها، وأبعادها، وبناء جيل قادر على مواكبة مستجدات العصر والمشاركة المجتمعية الفاعلة).

---

(١) حيث تمر عملية تطبيق فلسفة إدارة الجودة الشاملة بخمس مراحل: مرحلة الإعداد، ومرحلة التخطيط، ومرحلة التقويم، ومرحلة التنفيذ، وأعلاها مرحلة تبادل ونشر الخبرات. راجع: إدارة الجودة الشاملة– التغيير الثقافي الأساس الصحيح لإدارة الجودة الشاملة الناجحة، (ص٥٤–١٧٢).

(٢) راجع: علم المقاصد الشرعية، (ص١٨١).

التأصيل الشرعي لرسالة الأسرة المسلمة:

إن أهم أغراض بناء الأسرة:

أ. تطبيق شرع الله ﷻ، وتحقيق تقواه وحسن عبادته ﷻ، والعمل بأحكامه وتعاليمه، وتحصيل مرضاته؛ لقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]، فقد افتتح ﷻ سورة النساء بالأمر بتقواه ﷻ مرتين في آية، توسطهما الامتنان بخلق الإنسان، وزوجه، وذرياته، لتكون التقوى شكرًا على هذه النعم، كما جعل ﷻ التفاضل والخيرية بين الأزواج والذريات بالتقوى، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣]، وابتدأ الله ﷻ الآيتين بقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ولم يقل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ لتكون هذه الرسالة معتمدة؛ لأنها أمر من رب العالمين لجميع خلقه، ومعلنة لمختلف الأطراف داخل مؤسسة الأسرة وخارجها .

وجعل الله ﷻ إقامة حدوده ﷻ المعيار الذي يُحكم بموجبه باستدامة رابطة النكاح، أو انفصامها، فقال ﷻ: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وقال ﷻ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾[البقرة:٢٣٠].

ب. الارتقاء بالبشرية عن طريق حصول الإشباع الفطري، وحفظ الأعراض والأنساب، ورعاية الحقوق والواجبات والمسئوليات بإقامة الأسرة، وتحقيق الاستقرار، والستر، والعفة، والإحصان، والسكن، والمودة، والرحمة بين الزوجين، والتناسل، وقرة الأعين، والترابط والتعاون على البر والتقوى، والعشرة بالمعروف بين أصول الأسرة وفروعها، وتقوية الروابط بين المسلمين بالمصاهرة، مع تطهير المجتمع من

الأمراض والآفات الناجمة عن مخالفة الفطرة، كما قال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الروم:٢١]، وقد اختتم الله ﷻ الآية بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ولم يقل: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ ليتفكر كل من كان له عقل في دور الأسرة، وأهمية إقامتها، ولتكون رسالتها معتمدة ومعلنة لجميع عقلاء البشر مهما اختلف جنسهم، أو لونهم، أو اتجاههم، أو ملتهم.

ج . القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، بحفظ النوع الإنساني وحصول الأولاد، وتعهدهم على أكمل وجه، وتنشئتهم على أصول عقيدة الإسلام، ومبادئه، وقيمه، وتعاليمه؛ لتكون الأسرة محل بناء الأجيال الصالحة، ونواة المجتمعات المستقيمة، ولبنة لإعمار الأرض وإصلاحها، واستمرار التناسل البشري؛ لإكثار أفراد الأمة المسلمة، وتقويتها، وتمكينها، وتأسيس حضارتها، وانتظام جماعتها، وقد بيَّن الله ﷻ منذ خلق آدم عليه السلام أن هذه رسالة البشر، فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة:٣٠]، فحفظ النوع الإنساني دور أسري معتمد، معلن للناس كافة.

غايات الأسرة:

للأسرة غايات استراتيجية رئيسة، تندرج تحت كلٍّ منها مجموعة من الأهداف الفرعية الضرورية لتحقيقها، والتي يمكن قياسها، ومتابعتها، وتصحيحها، ووضع خطط عمل، وبرامج، وأنشطة محددة لها.

الغاية الأولى: الوصول إلى السعادة الحقيقية:

للمؤمن غاية ترتبط بها أهدافه في الحياة الدنيا عامة، وفي الحياة الأسرية خاصة، ألا وهي الوصول إلى السعادة الحقيقية السرمدية، وهي لا تحصل إلا بنيل رضا الله ﷻ، والفوز بالجنة، والنجاة من النار؛ لذا وعد ﷻ المؤمنين بأن يحقق لهم مرادهم، بجمع شملهم، ومن صلح من أسرتهم على النعيم المقيم في الجنة، فقال

ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ [الزخرف:٦٩، ٧٠]، و"الْحَبْرَةُ": كل نعمة حسنة، والمعنى: تكرمون، وتفرحون، وتتنعمون، وتسرّون، وتعجبون، وتتلذذون(١)، وقال ﷻ: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ [الرعد:٢٣]، وإدراك المؤمن لهذه الغاية دافع للتخطيط للوصول إليها، بالسعي الجاد لتكوين أسرة طيبة، باختيار الزوج الصالح، وتنشئة ذرية مستقيمة.

الأهداف الفرعية:

أ. **تحقيق العبودية لله ﷻ**، بامتثال أمره ﷻ في قوله ﷻ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور:٣٢]، وهو أمر يحتمل الوجوب والندب(٢)، وبتعظيم حبه ﷻ على كل حب فطري للأهل والعشيرة؛ لقوله ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾[التوبة:٢٤]، وبتوصية الذرية بالاستمرار والثبات على العبودية الخالصة لله، كما قال ﷻ: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [البقرة:١٣٣].

ب. **اتباع سنن الأنبياء** -عليهم السلام؛ لقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾ [الرعد:٣٨]، وقوله ﷺ: "**وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**"(٣).

---

(١) راجع: بحر العلوم، (٢٦٤/٣)، النكت والعيون، (٢٣٨/٥)، معالم التنزيل، (٢٦٤/٦).

(٢) راجع: العدة في أصول الفقه، (٢٤٢/١)، المستصفى، (ص٢٠٧).

(٣) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، (١٠٢٠/٢ح١٤٠١).

ج. **تحقيق زكاة النفس البشرية وتحصينها من اقتراف المعاصي**؛ لقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون:٥-٧]، وقوله ﷺ: "**مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ**"(١)، وقوله ﷺ: "**مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ**"(٢).

د. **إدخال السرور على النَّبِيّ ﷺ بتكثير نسل المسلمين**، كما قال ﷺ: "**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**"(٣)؛ لذا قرر الفقهاء أنه يحرم استئصال القدرة على الإنجاب(٤).

هـ. **ابتغاء ثواب الدار الآخرة بمتاع الدنيا**، فقد امتن الله ﷻ على الناس بالأزواج والذريات؛ ليكون داعيًا لإيمانهم به ﷻ، فقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ۝٧٢﴾ [النحل:٧٢]، وقال ﷻ: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [القصص:٧٧]؛ لذا قال النبي ﷺ: "**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**"، قَالُوا: "يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟"، قَالَ: "**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**"(٥).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب من لم يستطع الباءة فليصم، (٣/٧ح٥٠٦٦).

(٢) المعجم الأوسط: من اسمه أحمد، (٢٩٤/١ح٩٧٢)، حسن لغيره. صحيح الترغيب والترهيب(ح١٩١٦).

(٣) سنن أبي داود: كتاب النكاح: باب في تزويج الأبكار، (٣٩٥/٣ح٢٠٥٠)، وسنده صحيح.

(٤) راجع: قرارات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الدورة الخامسة، الكويت.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (٦٩٧/٢ح١٠٠٦).

و. **تأسيس بيت على التقوى وتطبيق شرع الله** ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦]، ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه:١٣٢].

ز. **طلب الخيرية بدوام واستمرار الحياة الزوجية** القائمة على العشرة بالمعروف – وإن افتقدت الحب بين طرفيها؛ لقوله ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:١٩].

ح. **تحصيل الأجر بالإنفاق** على النفس، وعلى الأقربين؛ لأن الله ﷻ جعل ذلك من أعظم القربات، كما قال النبي ﷺ: "**وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ، وَخَادِمِهِ؛ فَهُوَ صَدَقَةٌ**"(١).

ط. **الوقاية من النار**، بالإحسان إلى البنات، كما قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: "**مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**"(٢).

ي. **التماس الثواب الموصول غير المنقطع**، برعاية الأبناء الصالحين، وتعليمهم، وتأديبهم؛ لقول النبي ﷺ: "**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ**" **وذكر منها: "وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**"(٣).

---

(١) سنن ابن ماجه: أبواب التجارات: باب الحث على المكاسب، (٣/٢٧١ح٢١٣٨)، وصححه الأرناؤوط. وتواترت الأحاديث في هذا المعنى، ومنها قول النبي ﷺ: "**يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا، أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**"، (مسند أحمد: حديث أبي رمثة ﷺ، (١١/٦٧٤ح٧١٠٥)، وحسنه الأرناؤوط)، وقال ﷺ: "**إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا آجَرَكَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ**". صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ: "**اللهم أمض لأصحابي هجرتهم**".، (٥/٦٨ح٣٩٣٦).

(٢) مسند أحمد: مسند عائشة –رضي الله عنها، (٤١/١٢١ح٢٤٥٧٢)، وصححه الأرناؤوط.

(٣) سنن الترمذي: أبواب الأحكام: باب في الوقف، (٣/٦٥٢ح١٣٧٦)، حَسَن صَحِيح.

الغاية الثانية: تحقيق التميز في معاني الحياة الأسرية الطيبة:

الزواج بين المخلوقات سنة من سنن الله ﷻ في كونه، كما قال ﷻ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات:٤٩]، فالأحياء تتألف من ذكر، وأنثي، لكن التزاوج بين أكثرها لا يحقق معاني الحياة الأسرية الطيبة، في حين شرع الله ﷻ بناء الأسرة المسلمة؛ لتحصيل جميع مطالب الطبيعة الإنسانية بطرق مشروعة، وفق أهداف محددة، تكفل الأمن، والاستقرار، والتميز في جميع مراحل الحياة الأسرية ومستوياتها.

الأهداف الفرعية:

أ. التميز في إشباع الحاجات البدنية الحيوية، وتحقيق الإحصان والعفاف بطريق يرضيه ﷻ، فالإنسان مركب من جانب مادي شهوي، بحكم طبيعته الطينية، وجانب روحي لنفخ الله ﷻ فيه من روحه؛ ليتسامى على الغرائز الحيوانية، كما قال ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾[آل عمران:١٤]، وسمح ﷻ له بإشباعها في إطار نظيف عفيف، يتسم بوسطية واعتدال، بين الإباحية، والحرمان، والكبت، كما قال ﷺ: "**إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ؛ فَلْيَعْمِدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**"(١)، وأجمع الفقهاء على وجوب الزواج في حال التوقان(٢).

وقصر الله ﷻ الإباحة على الزوجات، فقال ﷻ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]، ودل قوله ﷻ: ﴿نِسَاؤُكُمْ﴾ على تحريم من سواهن، وتحديد نوعي الزوجين، وأنهما ذكر، وأنثى، مما يُؤَصِّل لتحريم مثلية النكاح، ويؤيده قوله ﷻ: ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾< أي: موضع إنجاب نسلكم؛ مما يدل

(١) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب ندب من رأى امرأة، فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته، (١٠٢١/٢ح١٤٠٣).

(٢) راجع: فتح القدير للكمال ابن الهمام وتكملته ط الحلبي، (١٨٧/٣).

على تحريم الإتيان في المحيض، أو في غير محل البذر، فليس مقصد النكاح قضاء الوطر المجرد؛ لذا حرم الله ﷻ أنواعًا منه قائمة على محض الاستمتاع، كالزواج المؤقت، والمتعة(١).

وتحصيل الحاجات الحيوية بطريق أسري مشروع يحقق تميزًا وقائيًا وصحيًا للأبدان، بالحماية من الأضرار التي ثبت علميًا وماديًا أنها تنجم عن الانحراف، كالإيدز، والأمراض التي يحفظ الله ﷻ منها من تطهَّر وتصوَّن عن الدنايا، وتحصَّن بالعفاف والالتزام بأوامر الله ﷻ، ومن دلائل النبوة ربط الأسباب بالمسببات في قوله ﷺ: "**لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**"(٢).

ب. التميز في إشباع الحاجات النفسية العاطفية، كالحب العفيف، والاستقرار النفسي، والاطمئنان بالانتماء إلى جماعة تربطه بهم قرابة، بين أمومة حانية، وأبوة راعية، وبنوة بارة، وأخوة عاطفة؛ لذا امتن ﷻ بجعل الزواج آية لتحقيق هذه المعاني، فقال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[الروم:٢١]، ووصف ﷻ نساء الجنة أنهن ذوات ودّ، فقال ﷻ: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾[الواقعة:٣٧]. أي: "متحببات إلى أزواجهن"(٣).

ومن الزيجات المستحدثة زواج المسيار، وهو مستكمل الشروط والأركان، غير أن الزوجين اتفقا على إسقاط حق الزوجة في المبيت والقَسْم(٤)، وهو مخالف لمقاصد الشريعة في الزواج؛ لانتفاء تحقق السكن والمودة.

---

(١) مما دل على ذلك: حديث علي ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة خيبر، (٥/١٣٥ح٤٢١٦).

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن: باب العقوبات، (٢/١٣٣٢ح٤٠١٩)، وحسنه الألباني.

(٣) جامع البيان، (٢٢/٣٢٧).

(٤) راجع: مجلة الأسرة: مقال لعبد الله بن منيع، عدد(٤٦)، (ص١٥).

والإشباع العاطفي لا يحصل بالعلاقات غير الشرعية، فممارسة الجنسية المثلية ليس فيها حب ومشاعر صادقة، بل مجرد اهتمام بتحصيل لذة، تتلاشى مع قضائها، مخلّفة مكانها النفور، والاشمئزاز، والوحدة والصعوبات النفسية(١)؛ لذا قال ﷻ في شأن قوم لوط عليه السلام: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (الحجر: ٧٢)، ووصفه ﷻ فِعْلَهُم بالسكرة يدل على زوال وعيهم وتمييزهم، كمن تعاطى المسكرات حتى ثمل، فلا يستمتع بلذة، أو كالمحتضر في سكرات الموت، لا يدري من حوله لشدة الآلام، فكأن محصلة ما يجتنيه الشاذ تيه وألم.

وأكدت دراسات نفسية أن الزواج الطبيعي والتوافق بين الزوجين من ركائز حفظ الصحة النفسية، فسعادة الرجل والمرأة لا تكتمل إلا بأداء رسالتهما في الحياة، بتأسيس أسرة صالحة، تجعل للشخص قيمة، وتعطي لحياته معنى، وتُكَوِّن له عائلة، ينعم معها بالأمن والسكن(٢).

والابن عندما تنتجه علاقة إباحية بين ذكر وأنثى لا يجد الاستقرار الذي تحققه الروابط التي تؤسسها الأسرة فطريًا، وقيميًا، وسلوكيًا، ويستكمل في إطارها نموه، كعاطفة الآباء، وانفعالاتهم نحو الأبناء بمقتضى الجبلة الطبيعية، والعادات الجارية، مهما اختلفت اتجاهاتهم، كما حكى الله ﷻ عن نوح عليه السلام مع ابنه، قال ﷻ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، ورحمة الأم بولدها والأخت بأخيه، كما قص ﷻ من خبر أم موسى عليه السلام وأخته: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [القصص: ١٠-١١]، ورفق الأخ بأخيه، كقول يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]، وبرّ الأبناء بالآباء حنانًا فطريًا، قبل أن

(١) راجع: سيكولوجية العلاقات الجنسية، (ص٧٦ وما بعدها)، علم نفس الشواذ، (ص٨٦).

(٢) انظر: العلاقات الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، (ص٣٢، ٣٣).

يفرض عليهم بأمر شرعي، كما حكى ﷻ عن يحيى عليه السلام: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم:١٣، ١٤].

ج. التميز في إشباع الحاجات الاجتماعية:

أهم ما يميز نظام الأسرة المسلمة وجود مرجعية دينية تحكم علاقاتها، في وقت تَسَبّبت فيه التغيرات الثقافية والاجتماعية المعاصرة في كثير من التحديات، أبرزها الرجوع إلى مرجعيات غير إسلامية لبناء أسر حديثة، لفصل الدين عن مسرح الحياة الاجتماعية، واستمراء الحريات المطلقة في العلاقة بين الرجل والمرأة، خارج مؤسسة الأسرة، وتوعية النساء بعدم العمل داخل الأسرة، في رعاية الزوج، وإدارة عش الزوجية، وتربية الأبناء، وتأديبهم من دون أجر(١)، بينما شرع ﷻ للمسلم أحكامًا تحقق حاجاته الاجتماعية، بأعلى درجة من التميز والرقي من خلال الأسرة في أمور، منها:

– اعتبار المكانة الاجتماعية في اختيار الزوجة، حيث أولى الشرع العادات والتقاليد اهتمامًا، حتى جعل العرف من مصادر التشريع، ولم يهدر النبي ﷺ الاعتبارات الاجتماعية في النكاح، بل أقرها كما في قوله ﷺ: "**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ**"، وذكر منها: "**وَلِحَسَبِهَا**"(٢)، ما يدل على إباحة أن تكون المرأة ذات حسب، وهو الفعل الجميل للرجل وآبائه(٣)، لكي ينعكس ذاك الحسب والنسب على الأبناء، بالوراثة، أو بحسن التربية(٤)، وهذا تأصيل لاعتبار ما يعده الإنسان من كرم مناقب

(١) راجع: القيم الدينية وثقافة العولمة، الفصل الخامس، قراءة إسلامية في اتفاقية القضاء علي جميع إشكال التمييز ضد المرأة (حالة لبنان): نهى القاطرجي، (السيداو) بين القانون والفقه والقضاء (المؤتمر الدولي بشأن أحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات الدولية) ٩-٧ أكتوبر ٢٠٠٨م، جامعة الأزهر، طنطا.

(٢) راجع: صحيح مسلم: كتاب الرضاع: باب استحباب نكاح ذات الدين، (١٠٨٦/٢ح١٤٦٦).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، (٢١٥/٤)، شرح النووي على مسلم، (٥٢/١٠).

(٤) راجع: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، (٩٧/٥).

الأهل، ومجد مآثرهم، وشرف المفاخر بالآباء والأقارب من الدوافع المُرغبة في النكاح.

– مشروعية التكاثر الكمي والكيفي، بطلب أبناء الصلب في كَنَف الأسرة ورحابها، فمن الحاجات الفطرية التي أودعها الله ﷻ في الإنسان غريزة الأمومة والوالدية، بحب الإنجاب والحاجة إلى الذرية، كما قال ﷻ: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف:٤٦]، وقد تشوَّف الأنبياء لرؤية ذريتهم تدرج بين يديهم، كما قال زكريا عليه السلام : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران:٣٨]، وشكر إبراهيم عليه السلام ربه لمَّا رزقه الذرية الطيبة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

والأسرة المؤسسة الشرعية الوحيدة لإمداد المجتمع بأعضاء جدد؛ لبقاء النوع البشري بالتناسل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:١٦٥]، واستمرار المجتمع المسلم بثقافته الدينية، والقيمية، والسلوكية، واللغوية، والنظامية، والتنظيمية، وهذا ما حاولت بعض الاتفاقات والمؤتمرات الدولية أن تُشَوِّهَه، وتغيّره؛ مما يهدد أمن الإنسان، والمجتمعات، والدول، والاستقرار العالمي.

– تحديد العلاقات الاجتماعية، فحفظ النسب والنسل بتوفير العفة والعلاقات الشرعية بين الجنسين من الضروريات الخمس، التي جاءت الشرائع برعايتها، فللأبناء حق في الانتساب الصحيح؛ لصيانتهم من لحوق العار بجهالة النسب، ولمعرفة الأقارب وصلة الرحم، وصنع رباط اجتماعي متماسك؛ لقول النَّبِيّ ﷺ: **"تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ"**(١).

– القيام على المصالح الاجتماعية الأسرية التي أقرها الشرع(٢)، كرعاية الأبوين الكبيرين، أو الأخوات الصغيرات، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه لمَّا تزوج

(١) سنن الترمذي: أبواب البر والصلة: باب ما جاء في تعليم النسب، (٤/٣٥١ح١٩٧٩).

(٢) راجع: الموافقات، (١/٣٨٣).

امرأة ثيبًا، قال: "تُوُفِّيَ وَالِدِي، أَوِ اسْتُشْهِدَ، وَلِي أَخَوَاتٌ صِغَارٌ؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مِثْلَهُنَّ، فَلَا تُؤَدِّبُهُنَّ، وَلَا تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا؛ لِتَقُومَ عَلَيْهِنَّ وَتُؤَدِّبَهُنَّ"(١)، فقال له النبي ﷺ: "**بَارِكَ اللَّهُ لَكَ**"(٢)، وفي رواية: "**أَصَبْتَ**"(٣).

– توسيع شبكة العلاقات الاجتماعية لتتجاوز العشيرة الأقربين، وتستوعب بني آدم كافة؛ لقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:١٣]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤﴾ [الفرقان:٥٤].

د. التميز في تحصيل الحاجات الاقتصادية، وترشيدها، وإنفاقها؛ لبناء الأسر على الطهر، والتعاون على البر والتقوى، بركة يكثر في ظلها القليل، ولتكوينها دور فاعل في نهضة الأمة، وتحقيق الفاعلية الاقتصادية، وزيادة الإنتاج؛ لحصول الاستقرار، ولعل هذا من أسباب قول النبيّ ﷺ: "**من كان لنا عاملًا فليكتسب زوجةً**"(٤)، كما تسهم الأسرة في رفع المستوى الاقتصادي، بتوفير الأيدي العاملة اللازمة لاستصلاح الأراضي، واستثمار الموارد، واستخراج الثروات الطبيعية، ويتجلى التميز الاقتصادي بإقامة الأسرة المسلمة في مظاهر، منها:

- العون الإلهي لقائد الأسرة، بتيسير مؤن الزواج وتكاليفه، حين يحدد نيته، ويجددها وفق مراد الله ﷻ، مع أول خاطرة لبناء عش الزوجية، كما قال ﷺ: "**ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ**"، وذكر منهم: "**وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ**"(٥)،

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير: باب استئذان الرجل الإمام، (٤/٥١ح٢٩٦٧).
(٢) مسند أبي داود الطيالسي: ما أسند جابر بن عبد الله ﷺ، (٣/٢٧٨ح١٨١٢).
(٣) مسند أحمد: مسند جابر بن عبد الله ﷺ، (٢٢/ ٢٠٨ح١٤٣٠٦)، وإسناده صحيح.
(٤) سنن أبي داود: كتاب الفرائض: باب في أرزاق العمال، (٤/٥٦٦ح٢٩٤٥)، بسند حسن، وصححه الأرناؤوط.
(٥) سنن الترمذي: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم، (٤/١٨٤ح١٦٥٥ ت شاكر)، وسنده حَسَن.

فالزواج من أسباب طرد الفقر لمن قدَّر الله له ذلك؛ لقوله ﷻ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾النور: ٣٢]، وقول ﷺ: "**تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ ؛ فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَكُمْ بِالْمَالِ**"(١).

- إكرام الزوجة بإيجاب حقها في تملك المهر؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾[النساء: ٤]، وأجمع أهل العلم على أن على الزوج الوفاء به(٢)، فقد فرضه الله ﷻ لها ليكرمها به؛ جبرًا لخاطرها، وإشعارًا بقدرها، وبرهانًا على حسن النية في الزواج، وتطييبًا لنفسها بقوامة الزوج عليها(٣)، على خلاف ما ادعته الاتفاقيات الدولية المطالبة بإلغاء المهر؛ لكونه من أشكال العنف ضد المرأة، حيث صيرها سلعة تباع وتشترى(٤)، فالصداق رفع قدرها، ولا يحل أخذ شيء منه إلا بطيب نفسها ورضاها.
- وجوب نفقة الزوجة والذرية على الزوج في حدود وِسْعِهِ، للحفاظ على حياتهم، بتوفير المأكل، والملبس، والمَسْكَن، والعلاج؛ لقوله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة:٢٣٣]، وقوله ﷻ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق:٧]، لذا لم يكتف ﷺ بتوفير النفقة اليومية، بل "**كَانَ ﷺ يَبِيعُ نَخْلَ بَنِي**

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب النكاح، (٢/١٧٤ح٢٦٧٩)، وسنده صحيح.

(٢) راجع: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (٧/٢٧١)، نهاية المطلب في دراية المذهب، (١٣/٥).

(٣) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي، (٤/٦٣).

(٤) انظر: اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لعام ١٩٧٩م، المعتمدة بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، رقم [٣٤/١٨٠]، واتفاقية سيداو www.cedawstories.org.

النَّضِيرِ، وَيَحْبِسُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ"(١)، وأجمع العلماء على أن على المرءِ نفقة أطفاله؛ الذي لا مال لهم(٢).

والله ﷻ كما رَغَّب في الزواج والإنجاب لم يترك قائد الأسرة ينوء بتحمل مؤن العيش وحده، بل وعد بالرزق، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

ومن الزيجات المستحدثة زواج (الفريند)(٣)، وهو يحقق الإشباع الحسي المادي، لكنه يتنافى مع مقاصد الشريعة في النكاح من حصول السكن والتكاثر، وتحقق قوامة الرجل على المرأة، وفيه إهدار لحق المرأة في إنفاق الزوج عليها.

- ترغيب المرأة الموسرة في الإنفاق على زوجها المعسر؛ لقول النبي ﷺ لزينب امْرَأَة ابن مسعود ﷺ وأخرى: "**لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**"(٤).
- إباحة أخذ المرأة بالمعروف من مال الزوج الشحيح من غير إذنه؛ لقول رسول الله ﷺ: "**خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ**"(٥).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النفقات: باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله، وكيف نفقات العيال: (٧/ح٦٣ح٥٣٥٧).

(٢) راجع: الإجماع لابن المنذر، (ص٨٣).

(٣) هو نكاح يكتفي فيه شاب وفتاة بعقد زواج شرعي، من غير أن يمتلكا بيتًا يأويان إليه، بل يعودان إلى منزل أبويهما بعد اللقاء. راجع: جريدة المدينة السعودية، عدد١٥٧٠٨، بتاريخ (٢٨ربيع الأول ١٤٢٧هـ).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين: (٢/٦٩٤ح١٠٠٠).

(٥) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم، (٣/٧٩ح٢٢١١).

الغاية الثالثة: زيادة القدرة التنافسية لمنتجات الأسرة:

إن أهم وظيفة حقيقية للأسرة هي بناء الإنسان، بتنشئة اجتماعية هادفة، تنتج شخصيات متكاملة، وسوية، تحقق المشاركة المجتمعية الفاعلة، وتسهم في التنمية، فالأسرة هي المكان الطبيعي الذي يكتسب فيه النشء هويته، ومعارفه، ومهاراته، وميوله، وعواطفه، واتجاهاته، ويعرف دينه، ولغته، ودوره في الحياة، وحقوقه، وواجباته، ويتعلم السلوك القويم، وخصوصيات النسق الثقافي الذي تنتمي إليه، وعادات مجتمعه وتقاليده، ويجد فيه أمنه، ويعيش العلاقات القوية الكريمة الراقية، ومع تعدد المؤسسات التنشئية المنافسة للأسرة المعاصرة، وتنوعها؛ فإن للأسرة أهدافًا تميِّزها بأثر عميق راسخ في شخصية أبنائها؛ لما تتسم به من الاتصال، والتفاعل، والاحتكاك المباشر، والمتكرر.

الأهداف الفرعية:

أ. رفع الكفاءة الأسرية لمضاعفة تحسين وضع منتجاتها التنافسي:

لقيادة الأسر أثر بالغ في استقامة تنشئة الأبناء أو اعوجاجها، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۝٦٩ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝٧٠﴾ [الصافات:٦٩، ٧٠]، ولم يستح المخالفون أن يعلنوا اقتداءهم بآبائهم في الشر، وكأن اتباعهم سنة يقبح التخلف عنها، كما قال ﷻ: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٧٤﴾ [الشعراء:٧٤]، مما يؤكد مسئولية الآباء نحو الأبناء، وقد قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ سائل كل راع عما استرعاه: أحفظ أم ضيع؟**"(١)، ولمَّا كان الأمر كذلك فالارتقاء بمستوى منتجات الأسرة – الأبناء – يستلزم من القائد أمورًا:

أولها: صحة المذهب، واستقامة المعتقد، وصلاح الأعمال، وحسن المقصد في تنشئة الأبناء، والاهتمام بالبناء الروحي، والعقلي، والنفسي قبل البناء البدني، كما بيَّن الله ﷻ في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا

(١)صحيح ابن حبان: كتاب السير، (١٠/٣٤٤ح٤٤٩٢) وصححه شعيب الأرناؤوط.

﴿تَقُتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ [القصص:٩]، فقد اعتبرت موسى عليه السلام ولدًا لها، لكن اقتصرت تربية فرعون له على الجانب البدني المادي، كما ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾ [الشعراء:١٨]؛ فكانت النتيجة اختلافًا عقديًا، وتباينًا فكريًا، لم ينته إلا بهلاك الباطل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠].

وفي المقابل نفع صلاح الآباء أبناءهم، حتى بعد فراق الآباء الدنيا، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢]، فصلاح الآباء أعظم كنز مثمر للأبناء في الحال والمآل.

والثاني: مواكبة الواقع المعاصر: فقد بات العالم الافتراضي منافسًا لدور الأسرة، والعلاقات الاجتماعية التي تربط النشء بعالمه الواقعي(١)؛ مما يفرض على قائد الأسرة خوض غمار المنافسة لمواكبة التطورات التكنولوجية، بأن يكون ذا نفس عظيمة، وهمة عالية، وشخصية تتسم بالرغبة في تطوير ذاته، بالتعلم والتعاون مع ذوي الخبرة في مجاله، ليكتسب ثقافة، وإلمامًا رقميًا؛ لمراقبة ما يتَعَرّض له الأبناء من مواد ومعلومات قد تكون مُضرَّة، فمن أهم خطوات رفع الكفاءة التحصن بالعلم النافع، كما قال ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة:١١].

والثالث: التحلي بخصال المربي المتميز(٢)، الذي يألف، ويُؤلف، ويقدم القدوة الحسنة في السلوك، والأقوال، والأعمال، وقد أصَّل النبي ﷺ لاتِّصَاف قائد الأسرة

---

(١) انظر: الإعلام وثقافة الأطفال، (ص١٧٤)، التربية الإعلامية، (ص٣٥).

(٢) ومنها: أن يكون صاحب مبدأ، ويمتلك قدرة على العطاء، ويتسم بالصلاح، والحلم، والأناة، والرفق، وضبط النفس، والقدوة الحسنة، والعلم، وسعة الاطلاع، والأمانة، والعدل، والحرص، والقوة والحزم، والاعتدال، والتوسط، والتخول بالموعظة.

المربي بِسِمَات منها: الرحمة، كما في قَوله ﷺ: "**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ...**"(١)، وفي حديث أَعْرَابِيّ جاء إِلَى رسول الله ﷺ، فَقَالَ: "**أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ**"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**وَمَا أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ**"(٢).

والرابع: الملازمة والمراقبة والمتابعة: وقد نفَّذَ النبي ﷺ مبدأ متابعة قائد الأسرة، وملازمته، ونصحه، كما في قوله ﷺ لربيبه عمر بن أبي سلمة: "**يا غلام، سم الله، وكل بيمينك**"(٣).

ولم تنته متابعة رسول الله ﷺ للأبناء بانتقالهم لعش الزوجية، كما في حديث مجيئه ﷺ إلى فاطمة – رضي الله عنها – فلم يجد عليا ﷺ في البيت، فقال: "**أين ابن عمك؟**"، قالت: "كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج، فلم يَقِلْ عندي"، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: "**انظر أين هو؟**"(٤).

ب. تطوير برامج الأسرة وأنشطتها لدعم الناشئة:

إن بناء شخصيات النشء باتجاهاتها التفكيرية، وفلسفتها في الحياة، وميولها، وتعبيراتها، وطريقتها، وعاداتها، وتشكيل صفاتها الدينية، والخلقية، والعقلية، والجسدية، والسلوكية، والنفسية، والاجتماعية... ليست غيثًا يهطل مصادفة بين عشية وضحاها، فهي نتاج تخطيط، وجهد، وصبر، ومثابرة، ومتابعة مستمرة، وتتطلب تدرُّجًا في تنشئة الأبناء، وتعليمهم، وتأديبهم، وفق برامج متنوعة ومكثفة، تدور في ثلاث مسارات: **أولها:** برامج بنائية: لغرس القيم النبيلة، واكتساب العلوم

(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ﷺ: باب من فضائل نساء قريش، (١٩٥٩/٤ح٢٥٢٧).

(٢) صحيح ابن حبان: كتاب الحظر والإباحة: ذكر إباحة ملاعبة المرء ولده، (٤٠٨/١٢ح٥٥٩٥)، صحيح.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، (١٥٩٩/٣ح٢٠٢٢).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب نوم الرجال في المسجد، (٩٦/١ح٤٤١).

النافعة، والآداب القويمة، والمهارات والخبرات الاجتماعية، وهي برامج متعددة ومتنوعة في موضوعاتها، وخططها، ومعالجاتها، ووسائلها، وأساليبها، وأزمنتها، فمنها برامج البناء الجسدي، والصحي، والخلقي، والاجتماعي، والعلمي... وتختلف أزمنتها، فبرامج البناء الإيماني منه ما يبدأ قبل الزواج باختيار الأم المؤمنة، والدعاء للأبناء بأن يكونوا ذرية طيبة، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، ومنها ما يبدأ مع ولادة الطفل، بتلقينه التوحيد، وجعل الآذان هو أول ما يسمع[(١)]، ويمتد عمره كله إلى الوفاة، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة:١٣٢]، ومنها ما يبدأ من سن التمييز أو التكليف[(٢)]، ويمتد العمر بأسره، كقول عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا﴾[مريم:٣١].

وثانيها: برامج وقائية: كبرامج التحصن من أسباب الانحرافات العقدية والسلوكية... بتوطيد علاقة قائد الأسرة مع الأبناء، وتجنيبهم المؤثرات المفسدة، ومنها ما يبدأ من سن الطفولة المبكرة، كبرنامج (الوقاية النفسية والاجتماعية) بالعدل بين الأبناء؛ لحماية صحتهم النفسية، وعدم شعورهم بالنقص، وحفظ أواصر علاقاتهم الاجتماعية الطيبة، كما في حديث النّعمانِ بن بَشِيرٍ رضي الله عنه، قال: "أَتَى بِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا"، فَقَالَ: "**أَكُلَّ بَنِيكَ نَحَلْتَ؟**"، قَالَ: "لَا"، قَالَ: "**فَارْدُدْهُ**"[(٣)]، ومنها برنامج (الوقاية الجنسية) بتعليم النشء آداب

---

(١) لحديث أذان رَسُول اللَّهِ ﷺ فِي أُذن الحسن بن علي – رضي الله عنهما – حين ولدته فاطمة – رضي الله عنها – بالصلاة. راجع: سنن الترمذي: أبواب الأضاحي عن رسول الله ﷺ: باب الأذان في أذن المولود، (٤/٩٧ح١٥١٤)، حديث حسن صحيح.

(٢) راجع: سنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، (١/٣٦٦ح٤٩٤).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الهبات: باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، (٣/١٢٤٢ح١٦٢٣).

الاستئذان، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ [النور:٥٨].

وثالثها: برامج علاجية: كعلاج الفتور في العبادات، كما قال ﷻ: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾[طه:١٣٢]، ومكافحة الظواهر الأخلاقية السيئة، كما ذكر ﷻ من نصائح لقمان عليه السلام لولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨]، وترميم العلاقات الأسرية الطيبة، كما قَالَتْ أسماء بنت أبي بكرٍ – رضي اللهُ عنهما: "قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي – وَهِيَ مُشْرِكَةٌ– فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟"، قَالَ: "**نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ**"(١).

ت. تعزيز دور الأسرة في تحقيق المشاركة المجتمعية والتنمية المستدامة:

في ظلال الأسرة تتأسس حركة المجتمع التنموية، التي تأخذ أشكالًا عدة:

أولها: تحقيق المشاركة الاجتماعية الفاعلة، ومن مظاهرها:

تنظيم السلوك الإنساني، والبعد عن التلوث الاجتماعي، بحفظ العرض لقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾ [الإسراء:٣٢].

تعزيز القدرات، والاهتمام بالموهوبين، ورعايتهم، وتخيّر الأكفاء لتزويج البنات: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص:٢٦، ٢٧].

تحفيز قائد الأسرة وبنيه على العمل، والقضاء على البطالة؛ لقوله ﷺ: "**إن مِن أطيبِ ما أكلَ الرجُلُ من كَسْبه، وَوَلَدُهُ من كَسْبِهِ**"(٢)، وكان النبي ﷺ يعمل

(١) صحيح البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها: باب الهدية للمشركين، (٣/١٦٤ح٢٦٢٠).

(٢) سنن أبي داود: كتاب البيوع: باب في الرجل يأكل من مال ولده، (٥/٣٨٨ح٣٥٢٨)، صحيح لغيره.

بيده في بيته، كما قالت عَائِشَةَ – رضي الله عنها: "**كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ**"(١).

تحقيق التّكافل الاجتماعي بإيتاء الزكاة، وإدارة الوقف، وإخراج الصدقات، ومن ذلك: أن زوج النبي ﷺ أم المؤمنين زَيْنَب بِنْتِ جَحْشٍ – رضي الله عنها– كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا، وَتَصَدَّقُ(٢).

الترابط الأسري المساعد على تعاضد المجتمع، وقوته، وتماسكه، واستدامته، وتحقيق النفع العام، ومساعدة الآخرين وفعل الخير، كما في قوله ﷻ: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢﴾ [طه:٤٢] فالأمر بالذهاب، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ يعززا الفورية، والنشاط، والهمة، والعمل الدءوب، ويهدما الكسل والتواني، وقوله ﷻ: ﴿أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ يعزز التعاون والعمل الجماعي، ويهدم الفردية، وقوله ﷻ: ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ ينفي الجهل، والعشوائية، ويدعو للتحرك بعلم وبصيرة، وقوله ﷻ: ﴿ذِكۡرِي﴾ يُجَلّي الهدف الذي يعملان من أجله.

والثاني: تحقيق التنمية الاقتصادية: للأسرة الصغيرة، والممتدة دور فاعل في تحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة، وبرز ذلك في نماذج من القرآن والسنة، منها:

عمل رسول الله ﷺ تاجرًا في مال زوجه خديجة – رضي الله عنها(٣)، والتجارة من الوسائل المباحة لتنمية الأموال، كما قال ﷻ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [البقرة:٢٧٥].

---

(١) مسند أحمد: مسند النساء: مسند عائشة –رضي الله عنها(٤١/٣٩٠ح٢٤٩٠٣)، صحيح.

(٢) راجع: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ﷺ: باب من فضائل زينب أم المؤمنين –رضي الله عنها، (٤/١٩٠٧ح٢٤٥٢).

(٣) راجع: السير والمغازي لابن إسحاق، (ص٨١)، سيرة ابن هشام، (١/١٧٢).

الأمر بالاقتصاد، والبعد عن التبذير في الإنفاق، مع إعطاء كل ذي حق حقه؛ لقوله ﷻ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء:٢٦].

الاهتمام بالأجيال القادمة بتوفير ما يكفل معيشتهم، وعدم تركهم عالة؛ لقول رسول الله ﷺ: "**إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**"(١)، مع الأمر بالمحافظة على مال اليتيم حتى يرشد، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢].

والثالث: تحقيق التنمية البيئية:

أرشد الإسلام إلى تحقيق التنمية البيئية المستدامة من خلال الأسرة بواسطة عدة أمور، منها:

تنظيم استخدام الموارد الطّبيعية، وترشيد الاستهلاك، والتوسط، والاعتدال، ومنه: تقليل استعمال الماء، وإن كان استخدامه في أمر واجب شرعًا، كغسل الجنابة، فقد "**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ، وَيَتَطَهَّرُ بِالْمُدِّ**"(٢)، وتوفير مصادر الطاقة، فكما أمر النبي ﷺ قائد الأسرة بصيانة الأطفال إذا كان جُنْحُ اللَّيْلِ، حث على المحافظة على الوقود، وعدم إهداره في غير حاجة، عند الشروع في النوم، فقال ﷺ: "**وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ**"(٣).

العناية بالحيوانات والمخلوقات والرفق بها، حيث أمر الله ﷻ نوح عليه السلام بإنقاذها من الهلاك؛ للحفاظ على الحرث والنسل، قبل أن يأمره عليه السلام بإنقاذ أهله ومن آمن معه، فقال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ

(١) صحيح مسلم: كتاب الوصية: باب الوصية بالثلث، (٣/١٢٥٠ح١٦٢٨).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الحيض: باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، (١/٢٥٨ح٣٢٦).

(٣) راجع: صحيح البخاري: كتاب الأشربة: باب تغطية الإناء، (٧/١١١ح٥٦٢٣).

﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود:٤٠]، على الرغم من أن الله ﷻ قادر على أن يخلق مثلهم وغيرهم مما لا نعلم.

المحافظة على الصّحة بالحث على النظافة، وجعلها حاكمًا على ما يباح ويحرم من العلاقات الزوجية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾ [البقرة:٢٢٢]، مع الاحتراز من انتشار الأوبئة بتوجيه الأقربين إلى سرعة دفن الميت: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ﴾ [المائدة:٣١].

نموذج لخطة استراتيجية لقيادة الأسرة

يبدأ التخطيط لنجاح الأسرة قبل إنشائها، ويستمر مدة بقائها، وتختلف الخطط بتنوع المصالح المرجوة، والأهداف المنشودة، وتتفاوت البرامج التي تخطط لها الأسرة[١]، فمنها البرامج الدينية، والثقافية، والفكرية، والاجتماعية... وينبغي أن تكون البرامج عملية، واضحة، واقعية، معقولة، متدرجة، ومتكاملة، ومبنية على أساس تحليل البيئة الداخلية والخارجية، للتعرف على الفرص والتحديات، والوقوف على مواطن القوة والضعف، وما يحتاج إلى تحسين.

وفي ضوء هذا يمكن وضع خطط حسب المدى الزمني المطلوب، ومنها – على سبيل المثال: من الغايات التي تتفق مع رؤية قائد الأسرة ورسالته: الغاية الثانية: تحقيق التميز في معاني الحياة الأسرية الطيبة، ومن الأهداف الفرعية لها: تحقيق التميز في إشباع الحاجات الاجتماعية.

(١) ومنها: برامج سلوكية وأخلاقية وعلاجية، مثل: (تطوير الذات)، (استبدال الأخطاء)، و(المشاكل الأسرية والحلول)، وبرامج إرشادية تربوية (تنشئة الأطفال)، برامج للعبادات، مثل: (تطوير الإيمان، وتفطير الصائمين، والاحتفال بالعيدين، وصلة الأرحام، وتبصير الناس بأحكام المناسبات وآدابها، ومخالفاتهم فيها)، وبرامج ترفيهية (رياضية، ثقافية، رحلات)، برامج صحية (غذائية، وقائية).

تحليل البيئة الداخلية والخارجية	
نقاط القوة: أ. تأسيس الأسرة بعقد زواج شرعي، يكفل كافة الحقوق والواجبات. ب. العلاقات الأسرية وتوزيع المسؤوليات والواجبات والأدوار محكومة بشرع الله وتخضع لمنظومة القيم. ت. أهداف نظام الأسرة واضحة ومشروعة. ث. الحدود الاجتماعية والأنساب معروفة ومعلنة.	**نقاط الضعف:** o قيام الأسرة على أسس غير صحيحة، كالخلل في أهداف الزواج والدوافع إليه وحصرها في الجوانب المادية، وسوء اختيار الزوج مما يؤدي إلى خلافات واضطرابات أسرية. o ضعف الأخلاق العامة، وضيق نطاق القيم الأساسية، وهيمنة القيم المرتبطة بالمصالح الفردية، كتعاظم اهتمام قائد الأسرة بمنفعته الشخصية وتحقيق ذاته وإثبات قدراته ومكانته وتميزه، ومحاولة الانفراد برأيه والظهور على غيره. o شيوع الأميّة الدينية والثقافية والتواصلية بين أفراد الأسرة؛ مما يؤدي إلى قيام العلاقات على عشوائية وتبعية، وانحصار دور الوالدين في تأمين الحاجات المادية على حساب الجوانب الروحية والنفسية والسلوكية والعقلية والفكرية ... o خلو منصب قيادة الأسرة بسبب وفاة الزوج، أو انشغاله الدائم بتحصيل الرزق، أو عدم توفر صفات القائد القيم القدوة في الرجل، أو الطلاق أو صراع الزوجين على القوامة.
الفرص: أ. حصول الترابط الاجتماعي والانسجام في العلاقات. ب. تحقيق التقارب والتواصل الفكري بين الأفراد. ت. ظهور مؤسسات تساند قيادة الأسرة وظيفيا، وتسهم في تكامل البناء الاجتماعي، مما يقلص من وظائف الأسرة، ويوفر لأفرادها رعاية أفضل.	**التحديات:** أ. تعدد وتنوع المؤسسات المنافسة لقيادة الأسرة، والتي تؤثر في ثقافة المجتمع، وتتفاعل من خلالها القيم والأفكار والاتجاهات، ومجالات الاهتمام والمواقف؛ مما يُفقِد الأسرة وظيفتها في تنشئة الأبناء، ويُحَجِّم من دورها في تشكيل البنية النفسية والعقلية لأفرادها، ويؤدي إلى انعدام التواصل بين أفرادها. ب. تَسَبَّب التغيرات الثقافية والاجتماعية المعاصرة في كثير من التحديات، أبرزها الرجوع إلى مرجعيات غير إسلامية لبناء أسر حديثة.

خطة قصيرة المدى لمشروع الخِطبَة

وفيه برنامجان: برنامج حسن الاختيار، وبرنامج آداب الخطبة.

ويكون المقبل على قيادة الأسرة هو مسئول التنفيذ مع المخطوبة، ووليها، ومصدر تمويل الميزانيات هو الخاطب، ثم تأتي الإجراءات تصحيحية بتعديل المسار، أو تحديد من يستحق قائمة المصروفات من هدايا، ومهر عند الانفصال.

م	البرنامج	المعايير	مؤشرات التقييم	الأنشطة والإجراءات
١	حسن الاختيار	- معيار الدين	اعتبار الإيمان - الأخلاق - كرم الأصل	- يحدد المواصفات المرغوبة. - يستشير ذوي الخبرات. - يعلن رغبته في الخطبة
		- معيار القبول	الميل القلبي- الشكل- الكفاءة- البكارة - الإنجاب	- يتأكد من صحة الاختيار - يتحقق الطرفان من توافر الصفات المرغوب فيها
		- معيار من لا تحل خطبتها	- المخطوبة لآخر - محرمات بسبب النسب والرضاع والمصاهرة، أو البائنة بينونة كبرى، وأخت الزوجة، والخامسة للمتزوج أربع، والتي لا دين لها. - المعتدة من وفاة أو طلاق	- يحصر المحرمات المؤبدة والمؤقتة - يعرف مَنْ تحل خطبتها تلميحًا أو تصريحًا
٢	آداب الخطبة	- معيار الرضا	- عدم الإكراه	- يتأكد من موافقتها
		- معيار التزام الشرع في العلاقة بينهما	- ضوابط النظر المباح - حكم الخلوة بالمخطوبة	- يتعارف الطرفان - يشارك الولي في تيسير الأمر - يحاول الجميع اتخاذ القرار
في مدة زمنية محددة				

خطة طويلة المدى لمشروع الزواج

الغاية الثانية: تحقيق التميز في معاني الحياة الأسرية الطيبة					
من الأهداف الفرعية لها: تحقيق التميز في إشباع الحاجات الاجتماعية					
م	البرنامج	المعايير	مؤشرات التقييم	الأنشطة	مسئول التنفيذ	الإجراءات التصحيحية
١	التميز في عقد النكاح	قبول المرأة والولي	لا نكاح إلا بولي رضا البالغة العاقلة	يزوجها الولي بإذنها يُفسخ العقد بإجبارها	الزوج والولي	عند غياب الولي عند إجبار الصغيرة
		إعلان العقد	وجود شاهدين إشهار بلا كتمان	يشترط الشاهدان عليه يُعْلَنْ ولو بضرب الدف	الأسرة بأسرها	عند غياب الشاهدين عند التواطؤ على كتمه
		نية الدوام	عدم توقيته بمدة	يُمنع نكاح المتعة والمحلل	الزوج والولي	تصحيح النية عند العقد
		جواز الاشتراط	الشرط ليس باطلًا أو جائرًا	يمنع اشتراط: مُحَرّم- ظلم - ما يخل بالعقد	الزوجان	فسخ العقد لعدم الوفاء بالشرط المشروع
٢	التميز في العلاقات الزوجية حقوق و واجبات	حقوق وواجبات متبادلة	المعاشرة بالمعروف	يتشاوران فيما بينهما	الزوجان	- عند نشوز أحدهما - عند الشقاق - الطلاق الخلع الرجعة - تحديد مدة للإيلاء
				يتعاونان على أداء الواجبات والمسؤوليات		
				يتبادلان حسن التعامل		
			ثبوت حرمة المصاهرة	يحرم على التأبيد زوجة أصله وأصول زوجته وزوجة فرعه وفروع زوجته	الأسرة بأسرها	جواز نكاح أخت الزوجة المتوفاة وعمتها وخالتها
			ثبوت النسب للولد	- يُثبت العقد - يحصل الدخول من بالغ وسالم من العيب - تمضي مدة الحمل	الزوج	الولد للفراش، وللعاهر الحجر
			ثبوت التوارث بينهما	- أخذ نصف تركتها أو ربعها - تأخذ ربع تركته أو ثمنها	من يحضر قسمة التركة	-التوارث واختلاف الدين - منع ميراث القاتل
		حقوق الزوجة	استحقاق المهر	يقدر المهر يُعجل المهر أو يأجله يُسمي المهر أو لا	الزوج	استحقاق مهر المثل سقوط المهر وجوب المتعة
			الإنفاق عليها	- ينفق على قدر وسعه - ينفق بالمعروف		- معاونتها زوجها المعسر -الأخذ من ماله بالمعروف
			عدم الإضرار بها	يبتعد عن الإيذاء والظلم والبغي المادي والمعنوي		خيركم خيركم لأهله
			العدل بين الزوجات	يسوي بينهن في النفقة والمبيت		يؤاخذ بالميل القلبي إن أظهر تفريقا بينهن
		حقوق الزوج	حق الطاعة في المعروف	- لا تعصي له أمرًا مشروعًا - لا يكلفها ما لا تطيق	الزوجان	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
			حق قرارها في بيته	تخرج بإذنه في حاجاتها		لا تمنع من صلة الرحم
			تأديبها لوقايتها من النار	- يدرك طبيعة المرأة - يستخدم أساليب متعددة: يعظ ثم يهجر ثم يضرب		عدم البغي في التأديب
٣	التميز في علاقات الأسرة داخلية و خارجية	حقوق الأبناء	- حسن رعايتهم وتأديبهم وتعليمهم	يقوم على بنائهم عقديًا وبدنيًا وعلميًا ونفسيًا واجتماعيًا...		غياب قائد الأسرة وأحكام الحضانة والولاية والوصاية...
			- العدل بينهم	لا يفرق بين البنين والبنات		
		حقوق الآباء	بر الوالدين	يطعهما في غير معصية الله ﷻ، ويقدمهما في الإطعام على النفس والأهل والولد، ويرحمهما، وينتقي الألفاظ لمخاطبتهما، ولا يتبرأ منهما	الأسرة بأسرها	- حدود التعامل مع الوالدين الكافرين - حدود طاعة الوالدين فيما يضر بالأسرة - برهما بعد موتهما
		حقوق المجتمع	- التعامل بالحسنى - التكافل الاجتماعي - كف الأذى - نشر الخير في المجتمع	- يتعارف ليصل الرحم - يعطف على اليتم - يحسن إلى الجار - يقدم القدوة الصالحة		- إصلاح ذات البين - تغيير المنكر

الخاتمة

نتائج البحث:

تمخضت دراسة موضوع فقه قيادة الأسرة بتخطيط إسْتراتيجيّ وفق مبادئ إدارة الجودة الشاملة: دراسة تأصيلية في القرآن والسنة – عن نتائج، من أبرزها:

أ. التعريف بقيادة الأسرة المسلمة، والتخطيط الإسْتراتيجيّ، ومبادئ إدارة الجودة الشاملة.

ب. ربط العلوم البشرية الحديثة المتصلة بواقع المسلمين العلمي والعملي بأدلتها الشرعية؛ لتكون العقول أكثر قبولًا لها، والقلوب أكثر اطمئنانًا بها.

ت. تقرير أن تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة ليس مقصورًا على المجالات المادية، فقد يُثمر التميزَ التنافسيَّ تطبيقُها في معنويات بحتة.

ث. تحديد أبعاد إدارة الجودة الشاملة ومبادئها، وأشكالها، ووسائلها، وأساليبها، ووسائطها، ومتطلبات تطبيقها في شئون النواحي الحياتية الأسرية.

ج. حسم الخلاف في معركة الصراع على القوامة، والدعاية إلى إلغاء قوامة الرجل في أهله.

ح. تطبيق آليات حل المشكلات الأسرية تحت رعاية القائد، وعند غيابه.

خ. كشف المخاطر المترتبة على عشوائية نظام الأسرة وإباحية العلاقات الغرائزية.

د. تقييم زيجات مستحدثة، وبيان أثر اضطراب دور القيادة، أو غياب التخطيط الإستراتيجي في مخالفتها للشرع.

ذ. إظهار أنواع التخطيط الإستراتيجي اللازمة لقيادة الأسرة المسلمة، والأصول والضوابط العلمية التي يُعْتَمَدُ عليها في وضعها، وتطبيقها، ومراقبتها؛ لحفظ كيان الأسرة، وتطوير فاعلياتها في المشاركة المجتمعية، والتنمية المستدامة.

ر. رد الزعم القائل بأن: "الأسرة ليست مصنعًا، حتى نُنَمِّط سلوك أفرادها، ونتَحَكَّم في مدخلاتها ومخرجاتها"، فهو قول يَنُمُّ عن قصور فهم تراثنا الإسلامي، وسوء تطبيقه في الممارسات السلوكية، مع الانسياق وراء الغزو الفكري الوافد في

جوانبه المتعارضة مع أصالة شرعنا؛ لأنه قول يُؤسس لفوضى العلاقات الأسرية، والأسرة –وإن قامت على علاقة فطرية تكاملية بين زوجين– لم تزل أعظم مصنع لتنشئة الأجيال، وقد ضبط الشرع كل صغيرة وكبيرة فيها، ونظَّم ووقَّت حتى أوقات الخلوات بالأهل: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ [النور :٥٨].

ز. تقرير أن مؤسسة الأسرة المسلمة التي قوامها رابطة الرحمة الروحية الإيمانية، فاق نظامها المؤسسات الصناعية المادية بكل وسائلها، وميزانياتها، وإمكاناتها...؛ لأن الرحمة لا تعني التساهل، والتسيب، والعشوائية، بدليل أن الرحمن ﷻ الذي خلق الرحمة، وجعلها آية من آياته ﷻ في الحياة الزوجية: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١] هو الذي أخبر أن الجِدَّ والحزم من مقتضيات رحمته، فقال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ:٣٨]، وعلى الرغم من كثرة الأسماء الحسنى والصفات العلا، جاء وصفه ﷻ بأنه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في مشهد حاسم في غاية الانضباط والصرامة.

س. إثبات سبق الإسلام البشرية في دعوته إلى ثقافة الجودة ومبادئها، وترسيخه لمفاهيمها، وتطبيقها في المجالات المعنوية والروحية قبل تطبيقها في المجالات المادية المحسوسة، فالجودة مطلب إسلامي، أصَّلَ لها القرآن والسنة، قبل أن تنطلق الشعارات المنادية بها، على يد إدوارد ديمنج (١٩٠٠م– ١٩٩٣م Edward Deming)، وفليب كروسبي (١٩٢٦م– ٢٠٠١م Phlip Crosby)، وغيرهما، حتى أصبحت من أهم المصطلحات المتداولة وأشهرها في عالم الإدارة والمجالات الصناعية، على صورة نظريات معاصرة، ومبادئ، وأفكار ريادية، لكنها أعلنت إخفاقها عن التطبيق في مجال الأسرة بمفهومها

الإباحي الوافد البعيد عن ضوابط شرع الله –سبحانه، في حين أمكن تطبيق الجودة الشاملة بمنهجها الإداري في نظام الأسرة المسلمة.

ش. إبراز تميز المنهج الرباني في وضع أسس إدارة الجودة، واستيعابها شئون النواحي الحياتية كافة، مع تعزيز الرقابة الذاتية المبنية على مراقبة الله Pﷻ مما يزيد استقرار الأداء، بخلاف مراقبة الإدارة العليا فحسب، وكذا تركيزه على الإتقان الشامل في الأعمال والأحوال كلها؛ لإعمار الأرض، وبناء المجتمع، وتطويره، وارتقائه إحسانًا، وابتغاء لرضاء الله ﷻ، مع تبنى مبدأ رضا العملاء، وليس التركيز على إرضاء المستفيدين فقط، والجودة في الإسلام أكثر تفاعلًا وإيجابية مع البيئة المحيطة والمجتمع؛ لأنها تمتد إلى خارج حدود المنظمة.

أهم التوصيات:

تُوصي دراسة فقه قيادة الأسرة بتخطيط إسْتراتيجيّ وفق مبادئ إدارة الجودة الشاملة دراسة تأصيلية في القرآن والسنة بما يلي:

١. مناشدة عامة المسلمين بأمرين: **أولهما:** التمسك بشريعة الله ﷻ التي أثبتت تميُّزها على سائر الاتفاقيات الدولية والقوانين الوضعية، وعدم الانسياق وراء غزو فكري وافد يتصادم مع أخلاقنا وشرعنا. **والثاني:** الإفادة مما ورد بين دفتي هذا البحث، من تخطيط للحياة، واستثمار لكافة الإمكانات المتاحة، وعدم إهدار العمر، فقد قرر الله ﷻ أنه لم يخلق الخلق عبثا، ولن يتركهم هملا بلا أمر، ونهي، وحساب، وعقاب، فقال ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة:٣٦]؛ مما يؤصل لتنظيم نشاطات البشر، وفق ضوابط ومعايير محددة.

٢. تضمين المناهج الدراسية أمرين: **أولهما:** مفاهيم إدارة الجودة الشاملة ومبادئها بمنطلقات إسلامية؛ لأن سلطان العقيدة أقوى في تحقيق النهضة والإصلاح والتطوير. **والثاني:** شئون صلاح الأسرة وإصلاحها في ضوء شرع الله ﷻ.

٣. إنشاء مراكز متخصصة لتوعية الفرد والمجتمع برسالة الأسرة المسلمة، وعلاج مشكلاتها.

٤. دعوة الباحثين إلى دراسات علمية حديثة في الجوانب التالية:

- إثراء الفكر الإسلامي المعاصر بدراسات تحقق الأصالة لمبادئ إدارة الجودة الشاملة، في بيئات مجتمعية شتى، بدراسة متكاملة، نابعة من القرآن والسنة.
- عرض المفاهيم الإسلامية عقيدة، وشريعة، وأخلاقًا عرضًا جديدًا مبتكرًا، ومنها الحياة الأسرية، وأطرها المختلفة، وذلك بالانفتاح على مكتسبات العصر، التي تحسِّن نظام الأسرة، ولا تتعارض مع ثوابت قيمنا، وهويتنا الإسلامية.
- تَفَهم روح الشريعة الإسلامية، والاهتمام بمقاصدها، وتَعَرُّف ما تنزع إليه من تحقيق المصالح المتجددة في نطاقها الشرعي، وتوظيف ذلك في فقه النوازل.

فهرس المصادر والمراجع

١) **الإجماع:** محمد بن المنذر، تحقيق: فؤاد أحمد، دار المسلم، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢) **إجمال الإصابة في أقوال الصحابة:** خليل بن كيكلدي، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٠٧هـ.

٣) **أحكام القرآن:** أحمد الجصاص، تحقيق: محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤) **آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة:** خالد العك، دار المعرفة، الأردن، ١٩٩٨م.

٥) **إدارة الجودة الشاملة ومتطلبات أيزو ٩٠٠١: ٢٠٠٠:** قاسم نايف علوان، دار الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠٠٥م.

٦) **إدارة الجودة الكلية، مفهومها وتطبيقاتها التربوية وإمكانية الإفادة منها في القطاع التعليمي السعودي:** أحمد درباس، مكتب التربية العربي لدول الخليج، رسالة الخليج العربي، عدد (٥٠)، السنة(١٤)، ١٩٩٤م.

٧) **الإدارة الموقفية التربوية في القرآن الكريم:** فريد النجار، طبع مجدلاوي، عمان،٢٠٠٢م.

٨) **الأسرة المسلمة في العالم المعاصر:** وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت،٢٠٠٠م.

٩) **الإشراف على مذاهب العلماء:** محمد بن المنذر، تحقيق: صغير أحمد، مكتبة مكة الثقافية، الإمارات، ١٤٢٥.

١٠) **أصول السرخسي:** محمد بن أبي سهل، تح: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، الهند.

١١) **إعلام الموقعين:** محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

١٢) **الإعلام وثقافة الأطفال:** محمود حسن، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠١١م.

١٣) **إكمَال المُعْلِمِ بفوائد مسلم:** عياض بن موسى، تحقيق: يحيى إِسماعيل، دار الوفاء، مصر،١٤١٩.

١٤) **أنوار البروق في أنواء الفروق:** أحمد بن إدريس القرافي، عالم الكتب.
١٥) **البحر المحيط في التفسير:** محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٦) **بحر المذهب:** عبد الواحد الروياني الشافعي، تحقيق: طارق فتحي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.
١٧) **البيان والتحصيل:** محمد بن رشد، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٨) **تاج العروس من جواهر القاموس:** محمّد بن عبد الرزّاق، تحقيق مجموعة، دار الهداية.
١٩) **تحبير المختصر:** بهرام الدميري، تحقيق: أحمد نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ١٤٣٤هـ.
٢٠) **التخطيط الاستراتيجي: رؤية نقدية:** صلاح الدين غنيم، المكتب العلمي، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٢١) **التخطيط الاستراتيجي:** بلال خلف السكارنة، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.
٢٢) **التفسير الحديث:** دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
٢٣) **تفسير القرآن الحكيم (المنار):** محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٢٤) **التفسير المنير:** وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
٢٥) **تقويم الأدلة في أصول الفقه:** عبيد الله الدبوسي، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
٢٦) **الخطة الاستراتيجية المدرسية- دليل عملي إرشادي:** محمود السيد عباس، دار القلم، دبي، ٢٠٠٥م.
٢٧) **توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام:** عثمان بن المكي، المطبعة التونسية، ط١، ١٣٣٩هـ.

٢٨) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
٢٩) **الجامع لأحكام القرآن:** محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وآخر، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.
٣٠) **جمع الجوامع:** جلال الدين السيوطي، تحقيق: مختار الهائج وآخرين، الأزهر الشريف، القاهرة، ١٤٢٦هـ.
٣١) **الجودة الشاملة في العمل الإسلامي:** بدوي الشيخ، دار الفكر العربي، القاهرة،٢٠٠٠م.
٣٢) **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه:** عبد الله بن قدامة، مؤسسة الريّان، ١٤٢٣هـ.
٣٣) **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها:** محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف، الرياض،١٤٢٢هـ.
٣٤) **السُّلوك التنظيمي في إدارة المؤسَّسات التَّعليميَّة:** فاروق عبده فليه، السَّيد محمَّد عبد المجيد، دار المسيرة.
٣٥) **السنن الكبرى:** أحمد النسائي، تحقيق: حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٢١هـ.
٣٦) **سيكولوجية العلاقات الجنسية:** ثيودور رايك، ترجمة: ثائر ديب، دار المدى للثقافة، دمشق،٢٠٠٥م.
٣٧) **شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل:** أبو حامد الغزالي، تحقيق: حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد، بغداد،١٣٩٠.
٣٨) **صحيح البخاري:** محمد بن إسماعيل، تحقيق: جماعة من العلماء، السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ، وعنه دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٣٩) **العلاقات الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس:** كمال إبراهيم، دار القلم، الكويت، ١٤١٥هـ.
٤٠) **علم نفس الشواذ:** شيلدون كاشدان، ترجم: أحمد سلامة، دار الشروق، ١٩٧٢م.

٤١) **الغريبين في القرآن والحديث**: أحمد الهروي، تحقيق: أحمد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى، السعودية، ١٤١٩هـ.
٤٢) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٤٣) **قوَّة التَّحفيز**: إبراهيم الفقي، ثمرت للنَّشر والتَّوزيع، ١٤٣٢هـ.
٤٤) **القيادة في الإدارة العربية وموقعها من النظريات المعاصرة والتراث العربي الإسلامي**: نعيم نصير، منشورات المنظمة العربية للعلوم الإدارية، ١٩٨٧م.
٤٥) **القيم الدينية وثقافة العولمة**: أحمد الصاوي، سلسلة قضايا إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ع١٢١، عام ٢٠٠٥.
٤٦) **كتاب السير والمغازي**: محمد بن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٤٧) **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**: أبو بكر بن أبي شيبة، تح: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض،١٤٠٩.
٤٨) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: محمود بن عمرو، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٧هـ.
٤٩) **اللباب في علوم الكتاب**: عمر بن عادل، تحقيق: عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.
٥٠) **لسان العرب**: محمد بن منظور، حواشي: لليازجي وآخرين، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٥١) **محاسن التأويل**: جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
٥٢) **مدارج السالكين**: محمد بن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦هـ.
٥٣) **المستدرك على الصحيحين**: محمد بن عبد الله، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٥٤) **المستصفى**: أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.

٥٥) **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.
٥٦) **معجم اللغة العربية المعاصرة:** أحمد عمر وآخرون، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٥٧) **معجم لغة الفقهاء:** محمد رواس قلعجي وآخر، دار النفائس للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ.
٥٨) **المغني:** عبد الله بن قدامة، تحقيق: طه الزيني وآخرين، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٥٩) **مفاتيح الغيب:** فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٦٠) **مقاصد الشريعة الإسلامية:** محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب، وزارة الأوقاف، قطر، ١٤٢٥هـ.
٦١) **المناهج التدريبية المتكاملة–منهج إدارة الجودة الشاملة:** عبد الرحمن توفيق، مركز الخبرات المهنية للإدارة، بيميك، القاهرة،٢٠٠٤.
٦٢) **مهارات حل المشكلات الزوجية:** وداد العيسي، صلالة، جامعة ظفار، مجلس التعاون الخليجي، الكويت، أغسطس ٢٠١٦م.
٦٣) **الموافقات:** إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ.
٦٤) **الموسوعة الإسلامية العامة:** حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠٠٣م.
٦٥) **الموسوعة الفقهية الكويتية:** وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دار السلاسل، ١٤٠٤هـ.
٦٦) **الوسيط في المذهب:** أبو حامد الغزالي، تحقيق: أحمد إبراهيم، دار السلام، القاهرة،١٤١٧هـ.

المجلات العلمية:

٦٧) **مجلة الإدارة والاقتصاد،** ع٨٠، سنة (٢٠١٠)، إدارة الجودة الشاملة– أنموذج في الإدارة الجامعية: علاء حاكم.

٦٨) **مجلة الإدارة**، مجلد (٣٠)، يوليو١٩٩٧م، بحث: الإطار الفكري والفلسفي لمدخل إدارة الجودة الشاملة: فريد زين الدين.
٦٩) **مجلة الإداري**، عدد ١٩٩٨م، بحث: إدارة الجودة الشاملة–المفاهيم والتطبيقات: فوزية سعد.
٧٠) **مجلة الأسرة**، عدد (٤٦)، مقال لعبد الله بن منيع.
٧١) **مجلة الاقتصاد الجديد**، ع٢٤،٢٠١٦، تأثير تطبيق إدارة الجودة الشاملة على تنمية الميزة التنافسية: مريم خلج.
٧٢) **مجلة البشائر الاقتصادية**،٢٠١٦م، عدد٦، بحث: إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي (تجربة جامعة ولاية نورث ويست ميسوري الأمريكية): مسعودة شريفي.
٧٣) **مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة**، ع١٢٨، سنة٣٧، ١٤٢٥، النشوز بين الزوجين: عايد الحربي.
٧٤) **مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية**، كركوك،٢٠١٢م، عدد (١)، بحث: إمكانية تطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية– دراسة حالة في الكلية التقنية: حسين نور الدين عزت.
٧٥) **مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية**، ٢٠١٦م، عدد (١)، بحث: مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي: دراسة مقارنة بين كليات حكومية وكليات أهلية: مريم الكرعاوي.
٧٦) **مجلة كلية الإدارة والاقتصاد**، جامعة بابل، العراق، ٢٠١٣/١١/٥، المبادئ الأساسية لإدارة الجودة الشاملة: رحاب كاظم.
٧٧) **مجلة كلية التراث الجامعة**، ٢٠١٤م، عدد (١٤)، دراسة عقبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي الأهلي: صباح النجار، مها كامل جواد.

الرسائل الجامعية:

٧٨) **أثر الحوافز في تحقيق الرِّضا الوظيفي لدى العاملين:(دراسة ميدانية بمديرية مسح الأراضي لولاية باتنة)**: ربيعة بوشباك، كليَّة العلوم الاقتصاديَّة والتِّجاريَّة وعلوم التَّسيير، جامعة محمَّد خيضر بسكرة،الجزائر،٢٠١٩م.
٧٩) **إدارة الجودة الشاملة وأثرها على فاعلية أداء المنظمات**: حسان المثنى، ماجستير، جامعة دمشق، ٢٠٠٩م.

٨٠) **المرأة والعمل السياسي:** هبة رءوف عزت، سلسلة الرسائل الجامعية (١٨)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، ١٩٩٥م.

٨١) **معايير الجودة الشاملة لتطوير نظام تكوين معلم التعليم الثانوي،** دكتوراه، كلية التربية بالرقازيق،٢٠١٠م.

المؤتمرات والاتفاقيات والقرارات:

٨٢) **اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لعام ١٩٧٩م،** المعتمدة بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، رقم[١٨٠/٣٤]، المؤرخ في ١٩٧٩/١٢/١٧م، المادة [١٣].

٨٣) **الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات: قراءة إسلامية):** بدرية صالح الميمان، بحث مقدم للقاء الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن)، ١٦-١٥ مايو ٢٠٠٧م.

٨٤) **(السيداو) بين القانون والفقه والقضاء** (المؤتمر الدولي بشأن أحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات الدولية) ٧-٩ أكتوبر ٢٠٠٨م، جامعة الأزهر، طنطا.

٨٥) **قراءة إسلامية في اتفاقية القضاء على جميع إشكال التمييز ضد المرأة (حالة لبنان):** نهى القاطرجي.

٨٦) **قرارات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي،** الدورة الخامسة، الكويت، (٦-١) جمادى الأولى ١٤٠٩هـ، الموافق (١٠- ١٥) ديسمبر١٩٨٨م.

المواقع الإلكترونية على شبكة المعلومات الدولية:

٨٧) www.alukah.net/culture إدارة الذات مدخل مقترح في الإدارة الإسلامية: عبد العزيز هنيدي.

٨٨) www.cedawstories.org نص اتفاقية سيداو.